الآجري

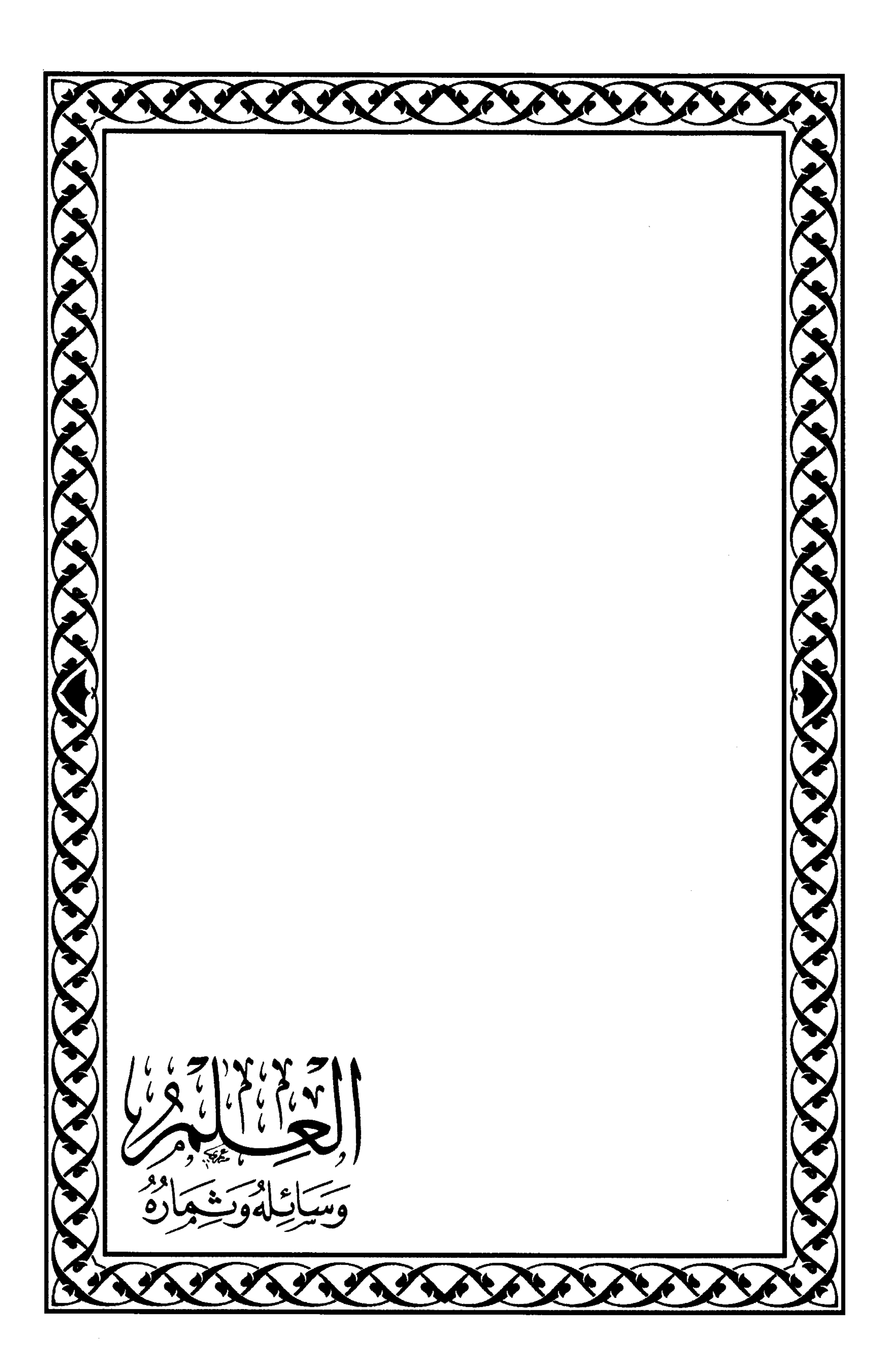
العلم

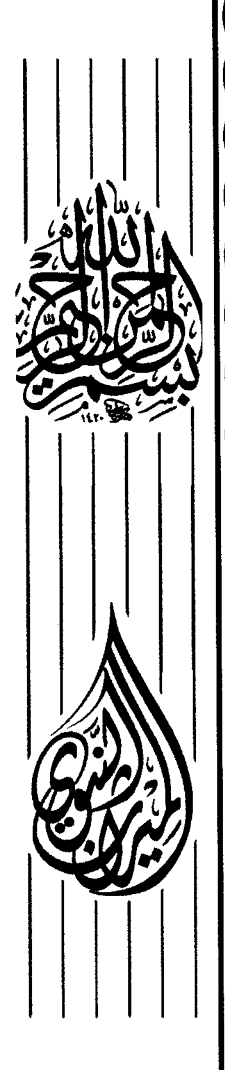
وسائله وثماره

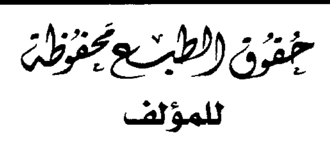
محاضرة لفضيلة الشيخ

أ.د: الشيخ سليمان بن سليم الله الرحيلي

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع


العلم
وسائله وثماره





1436هـ - 2015م

العلم ميراث النبي كذا أتى	في النص والعلماء هم وراثه
ما خلّف المختار غير حديثه	فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 2014-4299

ردمك: 7-097-48-9947-978

الموزعون لدار الميراث النبوي

مصر: دار المستقبل: 50- شارع منشية التحرير - جسر السويس عين شمس – الشرقية - ت: 00201118328377

جدة: مكتبة ميراث الأنبياء :حي الجامعة – مسجد الأمير متعب ت: 00966562737777

المدينة النبوية: دار النصيحة :حي الفيصلية- أمام الباب الجنوبي للجامعة الإسلامية - ت: 00966595982046



الصنوبر البحري - المحمدية - الجزائر العاصمة

الجوال: 554250098(00213) تلفاكس: 26936739(00213)

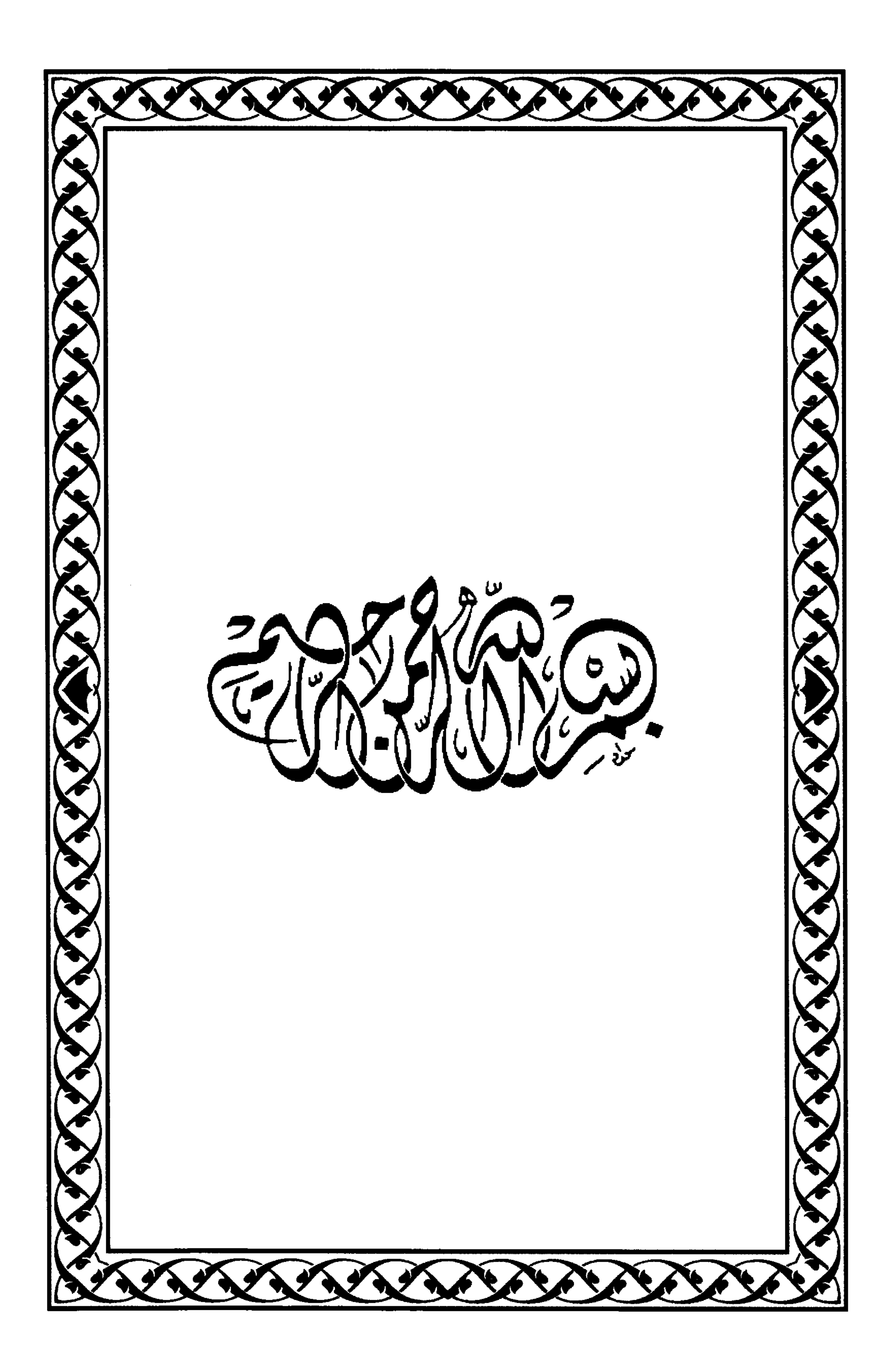
البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com



إعداد

أ.د: الشيخ سليمان بن سليم الله الرحيلي

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحْدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثَةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أيها الإخوة في الله:

إن الله عَزَّوَجَلَّ قد بعث نبيَّه ورسوله محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، بعثه بالحق كلِّه، بعثه بالدين الكامل؛ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]، وجعله خاتم

النبيين والمرسَلِين. فجاهد في الله حقَّ جهاده، وأدَّىٰ الأمانة، وبلَّغ الرسالة، ما ترك من خير إلا دَلَّ عليه، وما ترك من شرٍّ إلا حَذَّر منه، وما مات ﷺ إلا وقد ترك الأمَّة علىٰ البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. وعندما مات ﷺ ترك ميراثًا عظيمًا، ما ترك دينارًا يفنىٰ، ولا ترك ثوبًا يبلىٰ؛ وإنما ترك ميراثًا عظيمًا يبقىٰ، ترك ميراثًا يُحَصِّلُه كُلُّ من بذل سببه؛ تركَ العلم، وَوَرَّثَ العلم، فدينُ الإسلام دينُ علم، وبصيرة، وعمل، لا دين عبادة بدون علم؛ فإن ذلك طريق الضالِّين، ولا دين علم بلا عمل؛ فإن ذلك طريق المغضوب عليهم، وإنما طريق الإسلام طريقٌ مستقيم، طريق علم وبصيرة، وعمل بذلك العلم.

وقد جاءت نصوصٌ كثيرة، في بيان فضل العلم؛ تحفيزًا للهمم، وحثًّا للنفوس، علىٰ تحصيل ذلكم الأمر الغالي.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فالذين يَخْشَوْنَ الله حَقَّ الخشية هم العلماء؛ فالعلماءُ خشيتُهم لله خشيةٌ كاملةٌ؛ لأن معرفتهم بالله عَزَّوَجَلَّ معرفةٌ كاملةٌ.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فالذين رزقهم الله عَزَّوَجَلَّ الإيمان، ورزقهم مع الإيمان علمًا، يرفعهم الله عَزَّوَجَلَّ درجات في الدنيا والآخرة، فهُم أهلُ الرِّفعة والثناء، وأهل الأجر العظيم، وفي ذلك دلالةٌ عظيمةٌ علىٰ أن العلم في الإسلام، إنما ينفع مَعَ الإيمان، فمَن جمع مع إيمانه علمًا؛ نفعه ذلك العلم، ورفعه الله بذلك العلم

درجات، أمَّا من خلا علمُه عن الإيمان؛ فإن ذلك لا ينفعه؛ ولا يرفعه، وإنما يَخْفِضُهُ، وَيَضَعُهُ.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، استفهامٌ استنكاري: قُلْ يا أيُّها الرسول لهؤلاء الْمُعانِدِين: هل يستوي الذين يعلمون، والذين لا يعلمون؟! قُلْ ذلك منكرًا عليهم: هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون في ميزان العقل؟! في ميزان الْعُقَلَاء؟! في ميزان الشرع؟! في ميزان العلم؟! لا - واللهِ - لا يستوون أبدًا، وقد خاب وخسر من ظن أن العلماء يساويهم غيرُهم، وأن الذين لا يعلمون - وإن زعموا أنهم دعاةٌ، أو زعموا أنهم.. وأنهم.. - يساوون العلماء، فضلًا عن أن يفضلوهم؛ فقد خاب وخسر، وخالف العقل والنقل.

ويقول النبيُّ ﷺ: **«وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْمًا؛ سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»**(١).

ويقول النبيُّ ﷺ في حديث عظيم، بَيَّنَ فيه فضل العلماء ابتداءً وانتهاءً، بيَّن فيه فضل العلم أولًا وآخرًا، يقول ﷺ: **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ**

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1].

يُبيِّنُ النبيُّ ﷺ فضلَ طلب العلم عند الطلب، وفضلَ العلم عند تحصيله.

«**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا**»: مَن ترك بيته وأهلَه وترك راحتَه، وسلك طريقًا.

عن ماذا يبحث؟

«**يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا**»، ولهذا دِلالةٌ - أيُّها الإخوة - علىٰ أن العلم يُلْتَمَسُ وَيُطْلَبُ، وأن العلم إنَّما يُحَصَّل بِبَذلِ الأسباب.

«**سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ**»: قال العلماء: يسهِّل الله له طريقًا إلىٰ الجنَّة بأمرين[2]:

الأمر الأول: أن العلم بذاته من طُرق الجنَّة، فمن سلك طريقًا يلتمس به علمًا؛ فقد سار في طريق من طُرُقِ الجنة؛ التي تُوصل إلىٰ الجنة.

والأمر الثاني: أن من سلك طريقًا يلتمس به علمًا، سَهَّلَ الله له العبادة،

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان (٨٨)، وحسنه حمزة الكناني، وقال الحافظ: «له شواهد يتقوىٰ بها». «فتح الباري» (١/ ١٦٠).

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٩٧ - الأرنؤوط).

وَيَسَّرَها له؛ فكان في طريق العبادة من السابقين، ولذا يقول بعضُ مشايخنا: إذا أردت أن تعرف شأنك في الإخلاص في العلم؛ فانظر إلىٰ شأنك في العبادة، فمن كان مخلصًا في طلب العلم؛ يَسَّرَ الله له طُرق الجنة، ومن طُرق الجنة: العبادةُ.

«وَإِنَّ الْمَلَائِكَةُ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ؛ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»: الملائكةُ الذين خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ للطاعة، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، لا يُحِبُّونَ إلا طاعةً من الطاعات، فالملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم؛ تواضعًا له، لا لأنه حكيم، ولا لأنه ذكيٌّ، ولا لأنه شريفٌ، ولا لأنه ذو مال؛ وإنما رضًا بما يصنع؛ لأنها تعلمُ فضلَ العلم عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ فتتواضعُ لطالب العلم؛ رضًا بما يصنع، كُلُّ ذلك فضلٌ لطالب العلم عند الطلب، وهو لا زال في طريقه إلىٰ الطلب، أما إذا حَصَّلَ العلم؛ فذاك فضلٌ آخرُ، وشأن آخرُ، وَعُلًا ما بعده عُلًا.

«وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»: كُلُّ مَن في السموات، ومَن في الأرض، يستغفرون للعالِم، واللهُ عَزَّوَجَلَّ يُصَلِّي علىٰ العالِم، ويذكرُه بخير في الملإ الأعلىٰ.

«حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ»: حتىٰ دوابُّ الأرض، حتىٰ الحيتانُ في البحار؛ تستغفر للعالِم.

«وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»: وهذا التفضيل جرىٰ علىٰ سَنَنِ الناس في تفضيل القمر علىٰ سائر الكواكب؛ فالناس يرون أن القمر

أفضلُ الكواكب، فكذلك العالِم؛ فَضْلُهُ علىٰ العابد بلا علم كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب، ولهذا سِرٌّ نفيسٌ، سنذكره - إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ - عندَ بيان ثمار العلم.

«**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**»: فالعلماء هم أقربُ الناس إلىٰ الأنبياء، إذا مات ابنُ آدم إنما يرثه وَرَثَتُه، وَيَحْجِبُ الأقربُ منهم الأبعدَ؛ فإذا مات الأنبياء ورثهم العلماءُ، فالعلماء هم أقربُ الناس إلىٰ الأنبياء.

أَهْلُ الْحَدِيثِ هُـمُ آلُ الرَّسُـولِ وَإِنْ   لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَهُ أَنْفَاسَهُ صَحِبُوا[1]

يأخذون عِلْمَهُمْ عن الأنبياء؛ فهم القريبون منهم حقًّا وصِدقًا.

«**وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا**»: فإن تلك الأمور تزول وتفنىٰ، وإنما ورَّثوا علمًا يرفع ويبقىٰ، فمن أخذ من العلم نصيبًا؛ فقد أخذ من ميراث النبوَّة نصيبًا وافرًا، إنه فضل عظيم.

ويقول النبيُّ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[2]، فمن علامة إرادة الله عَزَّوَجَلَّ بعبده خيرًا: أن تراه باذلًا نفسه في التفقُّه في دين الله عَزَّوَجَلَّ، باذلًا نفسه في طلب العلم؛ ليكون من الفقهاء حقًّا وصدقًا في دين الله عَزَّوَجَلَّ.

ويقول النبيُّ ﷺ: «فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ»[3]، فنوافلُ العلم

---

(١) «اللطائف من دقائق المعارف» لأبي موسىٰ المديني (ص٤٤ - الكتب العلمية).

(٢) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) رواه الحاكم (١/ ١٧١)، والطبراني في «الأوسط» (٣٩٦٠). وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٦): «صحيح لغيره».

الزائدةُ علىٰ الْقَدْرِ الواجب في طلب العلم، خيرٌ من نوافل العبادات، ولذا يقول العلماء[١]: لو ازدحم عند طالب العلم نافلةٌ في العبادة، وطلبُ العلم؛ فإنه يقدِّم طلب العلم؛ فإن طلب العلم خيرٌ من نوافل العبادات؛ بدليل هذا الحديث الذي سمعناه عن رسول الله ﷺ.

وَبَيَّنَ النبيُّ ﷺ أن طلب العلم في المساجد، هو من رأس العبادات؛ فإنَّا نعلم أن ذِرْوَةَ سنام الإسلام هو الجهاد، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ؛ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[٢]، وهذا خاصٌّ بِمَسجد رسول الله ﷺ، وأمَّا بقيَّة المساجد فمن قصدها لطلب العلم فله أجر حَجٍّ تامٍّ، والْحَجُّ الْمَبْرُورُ ليس له جزاء إلا الجنة، يقول النبيُّ ﷺ: «**مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ؛ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حَجَّتُهُ**»[٣]، فمن جاء إلىٰ مسجد، لا يقصد من هذا إلا أن يتعلم علمًا، أو يُعَلِّمَ علمًا؛ فَلْيُبْشِرْ بالخير العظيم، والثواب الجزيل؛ فأجره إنما هو أجر من قصد مكة بِحَجٍّ تامٍّ، وما أعظم ذلك الأجر.

---

(١) **انظر**: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ١٧٧ - ١٧٩/ الكتب العلمية)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٤١ - ٤٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٧). وصححه الألباني علىٰ شرط مسلم، كما في «الثمر المستطاب» (ص٥٢٦).

(٣) رواه الحاكم (١/ ١٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٤٧٣). وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٠): «حسن صحيح».

وقد بَيَّنَ النبيُّ ﷺ أن كل ما في الدنيا لا خيرَ فيه، إلا ما استَثنَىٰ، فقال: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا**»(١).

ففضلُ العلم في الإسلام فضلٌ عظيمٌ، ولا شك أن المسلم إذا سَمِعَ هذه الفضائل سَيَتَحَرَّكُ قلبُه، وتعلو هِمَّتُهُ، وتنشطُ نفسه لتحصيل العلم، فينبغي عليه - إذا حصَّل ذلك - أن يُحَصِّنَ نفسه بالْحُصُونِ الشرعية، التي جعلها الشرعُ تحصينًا لطالب العلم في طريقه.

وإن من أهمِّ ذلك وأعلاه: أن يكون طالبُ العلم مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ - في طلبه العلم، لا يبتغي من ذلك إلا وجهَ الله عَزَّوَجَلَّ، يريد أن ينفعَ نفسَه، يريد أن ينفع أمَّته، يريد أن يتعلَّم الخير، يريد أن ينشر الخير، يبتغي بذلك وجه الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن من قصد ذلك، حَصَّلَ الأجور الوفيرة، والخير العميم.

يقول النبيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا؛ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(٢).

وقد حَذَّرَ النبيُّ ﷺ أَيَّمَا تحذير من اتخاذ العلم مَطِيَّةً للدنيا، وبين ﷺ أن

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢). وقال الترمذي: «حسن غريب». وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٩٧).

(٢) رواه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

حُسْنَ النِّيَّةِ في طلب العلم أمرٌ عظيم، وخطرُه جسيم، فَصَحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عليه**» وذكر ثلاثةَ رجال، ومنهم: «**وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، قَالَ: فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَإِنَّمَا تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ. وَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**»[1].

فإن من أعظم الفتن - أيُّها الإخوة الأفاضل - أن يقصد طالبُ العلم بطلبه العلم أن يُحَصِّلَ لقبًا دنيويًا، أن يوصف بوصف دنيوي، أن يقال: سيِّدنا العالِم، ومولانا القارئ، فضيلة الشيخ المُقْرِئ، الدكتور، الأستاذ..، ألقابٌ من الدنيا!

إذًا من أخطر ما يكون علىٰ طالب العلم أن يكون غرضه من طلب العلم مثل هذا؛ فإن مثل هذا الرجل مِن أوَّل من تُسَعَّرُ بهم النارُ يوم القيامة - عياذًا بالله من مثل هذا -.

وقد حذَّر النبيُّ ﷺ من أن يقصدَ المسلم بطلبه العلمَ شيئًا من عَرَضِ الدنيا الزائلة، فقال ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا؛ لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2]، فمن تعلَّم العلم الشرعي،

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٢) رواه أحمد (٨٤٥٧)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وابن حبان (٧٨)، والحاكم (١/ ١٦٠) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٧٨).

لا يقصد من تعلُّمِه إلا أن يصيب عَرَضًا من الدنيا؛ أن يصيب مالًا، أو نَحْوَهُ من الأعراض الزائلة؛ فمصيرُهُ أنه لن يَجِدَ رائحة الجنة يوم القيامة. وقد جاء في الآثار الصحيحة: أن رائحة الجنة توجد علىٰ مسيرة كذا وكذا[1]. فليحذر طالبُ العلم أَيَّمَا حذر مِن أن يقصد بطلبه العلمَ شيئًا من أعراض الدنيا الزائلة.

وقد بَيَّنَ النبيُّ ﷺ - مُحَذِّرًا - بعضًا من مفاسد النيَّات في طلب العلم، وهي مفاسدُ تدخل علىٰ القلوب، فمنها: أن يقصد طالبُ العلم بطلبه العلمَ أن يكون مع العلماء ليجاريَهم، وأن يحضر مجالسهم، وأن يتحدث بحديثهم، أو ليماريَ السفهاء؛ فيكون غالبًا لهم، منتصرًا في الدنيا، أو يَتَخَيَّرَ المجالس، فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ»**[2]، وقال ﷺ: **«لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ فَالنَّارُ النَّارُ»**[3].

وفي ذلك وعيد شديد، وزجر عظيم؛ فينبغي علىٰ طالب العلم أن يَتَفَقَّدَ نفسه،

---

(١) كما في صحيح مسلم (٢١٢٨)، وروىٰ البخاري (٣١٦٦) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»**.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٤). وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٥): «صحيح لغيره».

(٣) رواه ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان (٧٧). وقال الألباني في «التعليقات الحسان» (٧٧): «صحيح لغيره».

وأن يتفقَّد قلبه، وأن ينظر في حاله؛ فإن وجد أنه علىٰ خير في طلبه؛ فليحمدِ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ذلك، وليسألِ الله الثبات؛ فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُقَلِّبُها كيف يشاء[1]، وإن وجد غير ذلك، وجد خللًا في نيَّته؛ فما الذي يصنعه؟

بعضُ طلبة العلم يأتيهم الشيطان، وَيُوَسْوِسُ إليهم إذا سمعوا مثل هذه النصوص، فيقول: وَيْحَكم! إلىٰ أين تذهبون؟! ألا تسمعون؟! إنها جهنم، إنها النار، ألا تفرُّون من النار؟ إنها حلقات تذهبون إليها، وفي أنفسكم خلل، وهذا يقودكم إلىٰ النار؛ ففرُّوا من هذه النار، إني لكم ناصح أمين!

وهكذا حالُ إبليس، لا يأتي ابنَ آدم إلا في صورة الناصح الأمين، وهو خَوَّانٌ كَذُوبٌ. فبعضُ طلبة العلم إذا سمع مثل هذه النصوص وجاءه الشيطان مُوَسْوِسًا وَمُزَخْرِفًا؛ انصرف عن طلب العلم، وقال: ما لي وللعلم؟ أبحث عن أمرٍ آخر أكون به من الناجين. وفي هذا خسران مبينٌ، وفي ذلك طاعة للشيطان؛ فإن الشيطان حريصٌ علىٰ أن يفشوَ الجهلُ، وأن تُظْلِمَ قلوبُ الناس من العلم؛ لأنه لا تقوم سوق الشيطان، إلا إذا قام الجهل علىٰ سُوقِهِ.

وصنيعُ هؤلاء الطلبة لا ينبغي؛ وإنما الذي ينبغي لطالب العلم، إذا وجد في نفسه خللًا في نيَّته، أن يحرص أَيَّمَا حرص علىٰ تَحْسِينِ نيَّته؛ بأن يبحث عن الوسائل المُعِينة علىٰ إصلاح نيَّته، وأن يجتهد في طلب الإخلاص، وأن يعلم أن

---

(١) كما ثبت في مسلم (٢٦٥٤)، والترمذي (٢١٤٠) وغيرهما.

طلب الإخلاص شديدٌ، وأنه يحتاج إلىٰ صبر عريض، وأنه يحتاج إلىٰ معالجة شديدة، يسألُ الله عَزَّوَجَلَّ الإخلاص في سجوده، وفي كل أحواله، يسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُخَلِّصَهُ من الشر، وأن يرزقه الخير، وأن يُلْحِقَهُ بِرَكْبِ المُخلِصِين، ويجتهد في العبادة، ويجتهد في العمل؛ فإن العبادة سببٌ لزيادة الإيمان، وإذا زاد إيمانُ العبد رَقَّ قلبُه، وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَقَرُبَ مِن رَبِّه؛ فكاد أن يكون لله مُخْلِصًا في طلبه.

فينبغي - أيها الإخوة - أن نكون صادقين، ساعين في طلب الإخلاص. والناس في هذا الأمر علىٰ أحوال:

- فمنهم من إذا وجد في نفسه خللًا في طلبه؛ فَرَّ من الساحة وهرب، ولا شكَّ أن ذلك خطأ عظيم.

- ومنهم من إذا رأىٰ في نفسه خللًا في طلبه؛ رضي بما هو فيه، وَلَمْ يُحَرِّكْ ساكنًا، ولم يتحرَّك قلبُه، وَلَمْ يَخَفْ علىٰ نفسه، ولا شك أن ذلك تهاونٌ عظيمٌ، وفيه شرٌّ عظيم.

- ومن الناس من إذا وجد في نفسه خللًا؛ تَحَرَّكَ قَلْبُهُ، وخاف من ربِّه، وسعىٰ في طلب الإخلاص سعيًا حثيثًا، ومن كان هذا حاله؛ فليبشر بخير عظيم؛ فإنه ما دام صادقًا في ذلك؛ فواللهِ لن يَخْذُلَهُ الله، وإنه في خير عظيم، وليستمر علىٰ ذلك، وليصبر، وسيجد حلاوةَ ذلك - ولا بُدَّ - في طريقه.

أما الأمر الثاني من الأمور التي حَصَّن بها النبيُّ ﷺ طالبَ العلم في طريق

طلبه العلم؛ فهو: العمل بما يَعْلَم، فلا بد لطالب العلم، إذا علم علمًا، أن يعمل به؛ فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِيَ عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَؤُونَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ»**(١).

يتعلمون القرآن ولا يعملون به، وقد كان السلف الصالح يخافون من هذا خوفًا عظيمًا، وكان أبو الدَّرْدَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: «إن أخشىٰ ما أخشىٰ من ربي يوم القيامة: أن ينادِيَني علىٰ رؤوس الخلائق: يا عُوَيْمِرُ! فأقول: لبيك ربي. فيقول: ماذا عملتَ فيما علمت؟!»(٢).

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنه: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»(٣).

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦١٣). وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١٢٩).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (١/ ١٣، ١٤) و(٢/ ٩٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١١٢ و٢٧٥)، وأحمد في «الزهد» (٧٣١ - محمد عبد السلام)، والدارمي (٢٧٠ - المغني)، وأبو داود في «الزهد» (٢٤٩)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٨٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٣)، والبيهقي في «المدخل إلىٰ السنن» (٤٨٩) و(٤٩٢)، والخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (٥٤) و(٥٥) و(٥٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٧١٤) وقال: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٣٠).

فأنت - يا طالب العلم - مسؤول يوم القيامة بين يدي ربِّك، عندما يُكَلِّمُ الله عَزَّوَجَلَّ المخلوق، ليس بينه وبينه تَرْجُمَان، مسؤول بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ عن علمك ماذا عملت فيه، فلا بُدَّ في العلم من العمل.

هذه - أيُّها الإخوة - أمورٌ قد بيَّنها النبيُّ ﷺ، ينتفع بها طالبُ العلم في سيره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الفضيلة العظيمة، وهذه المكرُمة العظيمة، التي هي طلبُ العلم.

ولا شك - أيها الأحبَّة - أن طلب العلم له وسائلُ في تحصيله، فإنَّا نرىٰ أن كثيرًا من طلبة العلم يقول بعضهم: قد أتعبتُ جسدي، وأتعبت نفسي، لكني لا أرىٰ أني أحصل علمًا، لي سنوات وأنا أتابع الحلقات، وأحمل الكتب، وأذهب إلىٰ هنا وهناك، لكني لم أحصِّل علمًا، ولا شك - أيها الإخوة - أن مثل هذا، إما أنه راجع إلىٰ خلل في القصد، أو إلىٰ خلل في الطلب؛ فلا بدَّ أن يعرف طالبُ العلم الوسائلَ الشرعية الصحيحة لتحصيل العلم.

❁ **وإن من أهم وسائل تحصيل العلم: الإخلاصَ لله** عَزَّوَجَلَّ: وقد سمعنا ما جاء فيه عن النبيِّ ﷺ، ولا شك - أيها الإخوة - أن الإخلاص لله أساسُ كل خير.

يقول النبيُّ ﷺ: «وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا نِيَّتَهُ؛ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ؛ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»[١].

---

(١) رواه أحمد (٢١٥٩٠)، وابن ماجه (٤١٠٥)، وابن حبان (٦٨٠). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٠٥) و(٩٥٠).

فمن لم يكن مخلصًا لله؛ يُشَتِّتُ اللهُ عليه أمره، وَيُفَرِّقُ عليه أمره، فلا يستقرُّ قلبه علىٰ شيء، ويجعل الله فقره بين عينيه، قال العلماء: فلا يرىٰ إلا فقرًا، وإن امتلأت الخزائن بالأموال؛ فإن الله قد عاقبه؛ فجعل فقره بين عينيه، فلا ينظر إلا إلىٰ فقر، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كتب الله له.

أمَّا من كان مخلصًا لله؛ فكانت الآخرة نيَّته وَهَمَّه؛ جمع الله له أمره؛ فاطمأنَّ قلبُه، وارتاحت نفسُه، وكان أمرُه مَجْمُوعًا لديه، وجعل الله عَزَّوَجَلَّ غناهُ في قلبه، فهو يشعر بالغِنىٰ في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة؛ فرزقه الله عَزَّوَجَلَّ ما شاء أن يرزقه.

فلا شك - أيها الإخوة - أن الإخلاص لله من أهم وسائل طلب العلم.

❁ **ومن وسائل تحصيل العلم وتثبيته: العملُ بالعلم**: فإن العمل بالعلم من أهم وسائل تثبيت العلم، يقول عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «قد هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارْتَحَل»[1].

فالعلم صَيْدٌ شارِد، والعمل قَيْدٌ مُوَثِّق، فمن عَمِلَ بعلمه حَصَّلَ العلم وثبت في نفسه، وقد فَقِهَ الصحابةُ - رضوان الله عليهم - ذلك عن رسول الله ﷺ؛ فكانوا لا يجاوزون عَشْرَ آياتٍ من القرآن حتىٰ يتعلَّموا معناها، ويعرفوا معناها، ويعملوا بما فيها، قالوا: «**فَتَعَلَّمْنَا العِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا**»[2]. وعلىٰ هذا سار الصحابة

(١) رواه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» (٤٠)، وابن عساكر في «ذم من لا يعمل بعلمه» (١٤ - الفكر).

(٢) رواه ابنُ سعد في «الطبقات» (٦/ ١٧٢)، وابنُ وضَّاح في «ما جاء في البدع» (٢٥٥)، والفريابيُّ

- رضوان الله عليهم - من بعد رسول الله ﷺ؛ فكانوا يُعَلِّمُونَ تلاميذهم العلم ومعه العمل، ولا شك - أيُّها الإخوة - أن من جَرَّبَ ذلك يعرف أن من قيَّد علمه بالعمل بقي ذلك في نفسه.

وإن شئت فانظر إلىٰ نفسك: كم قرأت من الأذكار؟ وكم تعلَّمت من الأحاديث؟ انظر: ما عملت به من الأذكار، تَجِدُ أنه باقٍ في صدرك، تستطيعُ أن تستحضِرَه متىٰ ما شئت، أمَّا ما لم تعمل به من الأذكار، فإنك سرعان ما تنساه، سرعان ما تَفْقِدُهُ، سرعان ما يزول منك، وهكذا في كلِّ عمل.

وإن شئت مثالًا، فانظر إلىٰ حفظك من القرآن، إذا حفظت شيئًا من القرآن، فما تُرَدِّدُهُ في صلواتك، وما تُكَرِّرُهُ في صلواتك؛ يبقىٰ في صدرك محفوظًا لا يذهب، أمَّا ما لا تردِّده ولا تكرِّره؛ فإنه سرعان ما تنساه، وسرعان ما يزول، وهكذا العملُ؛ فإنه مُقَيِّدٌ للعلم، مُثَبِّتٌ له، مُبْقٍ له، فمن أراد لعلمه ثباتًا في نفسه؛ فعليه أن يعمل به، وأن يَحْرِصَ علىٰ العمل به؛ فإن في ذلك خيرًا عظيمًا، وتقويةً عظيمةً للعلم.

❁ **وإن من وسائل تحصيل العلم: تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ:** ولا شك أن تقوىٰ الله هي سببٌ لِكُلِّ خير، وثمارها عظيمة جدًّا علىٰ العبد، كيف لا وهي وصيَّة الله

=

في «فضائل القرآن» (١٦٩)، والطحاويُّ في «مشكل الآثار» (٤/ ٨٣، ٨٤)، وابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١١٧)، وأحمد في «المسند» (٢٣٤٨٢)، وابنُ جرير في «التفسير» (١/ ٧٤ - هجر).

للأوَّلين والآخرين! ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وهي وصية الله عَزَّوَجَلَّ للأنبياء جميعًا، وهي وصيَّةُ الله للناس جميعًا، وهي وصيَّة الله للمؤمنين جميعًا، وهي وصية رسول الله ﷺ للمؤمنين؛ فقد كان كثيرًا ما يوصي ﷺ بتقوىٰ الله، وهي وصيَّة السلف الصالح؛ فقد كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - لا يبدؤون كتابًا يوصون فيه، ولا يوصون وَصِيَّةً، إلا وبدؤوها بالوصية بتقوىٰ الله؛ لأن تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ جِمَاعُ كُلِّ خير.

وتقوىٰ الله هي: العملُ بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نُورٍ من الله؛ ترجو ثوابَ الله، وهي تَرْكُ معصيةِ الله علىٰ نُورٍ من الله؛ تخشىٰ عقابَ الله.

تقوىٰ الله: أن يراك الله عَزَّوَجَلَّ حيث أمرك، وأن لا يراك حيث نَهاك.

تقوىٰ الله: أن تترك الذنوب جميعًا.

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ... وَكَبِيرَهَا فَهْوَ التُّقَىٰ

وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَىٰ

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَىٰ[(١)]

ولا شَكَّ أن تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ سبب لتحصيل العلم؛ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

---

(١) هذه الأبيات لابن المعتز، كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ١٦٤ - طيبة).

ولا شك أن الالتزام بالواجبات، وترك المعاصي، سَبَبٌ لتثبيت العلم بعد تحصيله؛ ولذلك لما شكا الإمام الشافعي إلىٰ وكيع سُوءَ حِفْظِهِ - وسوء الحفظ عنه بعيد؛ فهو من أشد الناس حفظًا، لكنه يرىٰ نفسه سيِّئ الحفظ، ومن ذلك: أنه كان يُحَقِّرُ نفسه، فشكا إلىٰ وكيع سوء حفظه - فأرشده إلىٰ ترك المعاصي، فنظم في ذلك أبياتًا، فقال:

شَكَوْتُ إِلَىٰ وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَىٰ تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ ... وَنُورُ اللهِ لَا يُؤْتَاهُ عَاصِي[1]

وفي رواية:

وَقَالَ: اعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ ... وَنُورُ اللهِ لَا يُهْدَىٰ لِعَاصِي[2]

فلا بدَّ - أيُّها الأحبَّة - أن نُخَلِّصَ أنفسنا من معصية الله؛ إن أردنا أن يُوَفِّقَنَا الله عَزَّوَجَلَّ في طلب العلم، وأن يُيَسِّرَ الله عَزَّوَجَلَّ لنا طرق العلم، وأن يُثَبِّتَ الله عَزَّوَجَلَّ العلم في أنفسنا.

❁ ومن وسائل تحصيل العلم وتثبيته: وضوحُ الغاية، والتخطيطُ الصحيح:

لا بُدَّ - يا طالب العلم - أن يكون هدفُك في طلب العلم واضحًا، وأن تعلم ماذا تريد في طلب العلم. إنَّ كثيرًا من طلبة العلم اليوم، لو سألتهم: ماذا

(١) **انظر**: «ديوان الشافعي» (ص٥٤/ الزعبي)، و«الجواب الكافي» لابن القيم (ص٥٢/ المعرفة).

(٢) **انظر**: «منهاج التأسيس والتقديس» لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص١٠٥/ الهداية).

تريدون؟ ماذا تَبْغُونَ من هذا العلم؟ لأجابك: والله لا أدري، وإنما أنا طالب علم، أريد ثواب الله عَزَّوَجَلَّ! أما غايتُه في طلب العلم، أما طريقُه في طلب العلم، فهو غيرُ واضح المَعالِمِ عندَه، ولذلك تجده يضرب في كل طريق، تجده كالطائر في كل يوم علىٰ غُصْن، وفي كل أسبوع مع كتاب، وفي كل شهر مع فنٍّ، لا يستقرُّ علىٰ علم، ولا يستقرُّ مع شيخ، ولا يستقرُّ علىٰ فنٍّ من الفنون؛ ولذلك تجده لا يُحَصِّلُ شيئًا، وإنما تجد أن ما عنده هو كما عند الطائر، إنما هو شيء قليل، لا يُسْمِنُ ولا يغني من جوع؛ وسبب ذلك هو عدمُ وضوح الغاية.

ينبغي لطالب العلم إذا أراد أن يسير في طلب العلم، أن يَرْسِمَ لنفسه طريقًا، فيقول: أنا في هذا الوقت في هذه الْمُدَّةِ المعيَّنة، أريد أن أتعلَّم الكتاب الفلاني، أريد أن أتعلَّم العِلم الفلاني؛ فيجعل لنفسه شيئًا مرسومًا واضحًا، يستطيع معه أن يسير سيرًا صحيحًا، وبذلك تجتمع عليه الأمور، أما من لم تتضح له الغاية، ولم يرسم له طريقًا؛ فهو في طلب العلم كمن يسير في صحراء، بلا هادٍ ولا مُرْشِدٍ، قد يُرْديه الطريق، فيموت في الطريق جوعًا وعطشًا، ولا يُحَصِّلُ خيرًا.

فينبغي - يا طالب العلم - وأنت تسير في طلب العلم، أن تُحَدِّدَ غايتك، وأن ترسم لك مُخَطَّطًا في طلب العلم، واضحَ الْمَعالِم، مُحَدَّدَ الغايات، تعرف به إلىٰ أين تسير، وماذا تريد؛ وبهذا تُحَصِّلُ خيرًا كثيرًا، وتُحَصِّلُ علمًا وَفِيرًا.

❁ **وإن من أسباب تحصيل العلم:** معرفةَ طريقة تحصيل العلوم؛ فإن هذا الأمر من أعظم الأمور وأنفَعِها لطالب العلم، وإن بعض طلبة العلم، يسيرون في

طريقهم في طلب العلم، كمن ينزلُ إلىٰ البحر، دون أن يعرفَ السباحة؛ فلا يعرف عِلمًا، ولا يُحَصِّلُ علمًا، وسببُ ذلك أنه ما عَرَفَ كيف يسير.

لا بدَّ - أيُّها الأحبة - من أن نعرف الطريقة الصحيحة المستقاةَ من السلف الصالح - رضوان الله عليهم - في تحصيل العلوم الشرعية.

ومن أهم ملامح هذه الطريقة - أيها الأحبَّة -: أن تبدأ بصغار مسائل العلم قبل كبارها، وقد كان السلف الصالح ينهون طالب العلم أن يبدأ بالمسائل الكبار قبل الصغار.

فإذا أردت أن تسير في فنٍّ من الفنون؛ فَصَنِّفْ كُتبَه، وانظر في كتب هذا الفنِّ، وقسِّمها إلىٰ أقسام: كتب مختصرة، وكتب متوسطة، وكتب مطولة. تبدأ في هذا الفن بالكتب المختصرة، واختر من الكتب المختصرة أكثَرَها خدمةً عند أهل العلم، اختر المختصرَ الذي تستطيع أن تسير معه إلىٰ آخر الطريق، فتختار مختصرًا، تقرأ هذا المختصر، وتفهم ما فيه، وتستوعب ما فيه، وتعرف معانيه، فتعرف هذا العلم، وتعرف ما فيه، وتعرف مسائله، وتضبط أبوابه. ثم تنتقل بعد ذلك إلىٰ كتاب متوسط، فتقرأ ما فيه، وتعلم ما فيه، ثم تنتقل إلىٰ كتاب مطول، وذلك مع القراءة علىٰ شيخ مُتبَصِّرٍ عالِمٍ بما تقرأ، عالم بما يقول؛ فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، ومن سلك هذا السبيل؛ حَصَّلَ الخير وتأصَّل، ومن لم يسلك هذا السبيل؛ فإنه قد يكون مثقَّفًا، لكنه لن يكون عالِمًا، ولن يحصِّل علمًا مُؤَصَّلًا يبقىٰ في نفسه.

ينبغي علىٰ طالب العلم أن يبدأ بصغار مسائل العلم قبل أن يَخُوضَ في كبارها،

ولهذا يقول الذهبيُّ في السِّيَر[١]، فيمن دخل في كبار المسائل قبل صغارها؛ قال: «كيف يَطِيرُ وَلَمَّا يُرَيِّش؟»؛ الطائر الصغير إذا خرج من البيضة، وهو في العش فوق الشجرة، إذا رأىٰ الطيور الكبيرة تطير، وأراد أن يطير مثلها وَلَمَّا يخرج الريش، لا بُدَّ أن يقع علىٰ الأرض، وأن تنكسر عنقه، فإذا صبر حتىٰ خرج الريش الصغير ثم خرج الريش الكبير، ثم تعلَّم الطيران شيئًا فشيئًا؛ فإنه سيطير مع الطيور، ويلحق بذلك الركب؛ فكذلك طالب العلم ينبغي عليه أن يعرف الطريق الصحيح، وأن يكون صبورًا في ذلك.

ولنضرب مثالًا في الفقه، فإذا أراد طالب العلم أن يُحَصِّل العلم المؤصَّل في الفقه؛ فعليه أولًا أن يبدأ بمتن مختصر من كتب الفقه، وليكن هذا المتن مَخْدُومًا عند العلماء، يبدأ بهذا المتن، ويقرأ هذا المتن، ويتفقه فيه، ويعرف معانيه، ويعرف مسائله، فكما يقولون: يأخذ الصورةَ الأولىٰ عن العلم. ثم بعد ذلك ينتقل، فيقرأ هذا المتن علىٰ عالم متحرِّر، ليس عالمًا متعصِّبًا للأقوال، بل يُعَلِّمُهُ الراجح بالدليل. ثم بعد ذلك ينتقل إلىٰ القراءة في الخلاف، وإلىٰ مسائل الخلاف، أما إذا بدأ علمَه في الفقه بالكتب المطولة، ودخل في مسائل الخلاف؛ فإنه سيغرق فيها، ولا شك أنه سيؤول أمرُهُ إلىٰ أحد حالين:

- إما أن يزهد في الفقه؛ لكثرة ما سيراه من الخلاف، وَلَمْ يكن مستعدًّا للنظر في هذا، فلا ينظرُ بعد هذا في كتب الفقه أبدًا؛ فَيُحْرَمَ خيرًا كثيرًا.

---

(١) (١٨/ ١٩١ - الرسالة).

- وإمَّا أن يغرقَ في الخلاف، فلا يخرج من الخلاف أبدًا، ولا تراه إلا في خلاف، ومن خلاف إلىٰ خلاف، ولا يُحَصِّلُ علمًا ولا فائدة.

فينبغي علىٰ طالب العلم أن يسير سيرًا حسنًا في كل فن من الفنون، يبدأ بصغار المسائل ومختصراتِها، ثم ينتقل إلىٰ المتوسطات، ثم ينتقل إلىٰ المطولات، وهكذا يُحصِّل طالبُ العلمِ العلمَ، وهذا لا شك - أيُّها الأحبة - يحتاج إلىٰ صبر عظيم؛ فإن العلم لا يحصَّل إلا بالصبر.

❁ **وإن من أسباب تحصيلِ العلم**: الاشتغالَ بكتب السلف، والإعراضَ عن غيرها من الكتب، التي تشغل ولا تُفِيد.

لا شك أن كتب السلف مُلِئَتْ بكل خير، ولا يُصْلِحُ آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوَّلَها، وما أصلح أول هذه الأمة هو ما دوَّنه السلف في كتبهم، فينبغي علىٰ طلبة العلم أن يشتغلوا بكتب السلف، وأن لا يلتفتوا إلىٰ الكتب المعاصرة، التي تشغل طالب العلم عن وقته، وَتُضَيِّعُ وقتَه كثيرًا.

بعضُ طلبة العلم إنما يحبُّون المصنفات المتأخرة، ويتركون الكتب المتقدمة، وَيَحْرِصُونَ علىٰ الكتب المتأخرة، وقد يفوتهم في ذلك خير كثير، أنا لا أقول: إن طالب العلم لا يقرأ في الكتب المتأخرة. وإنما أقول: إنه لا ينبغي أن يشغل نفسه بالكتب المتأخرة، وإنما يكون شغله وأمره وهَمُّه؛ هو الاشتغال بكتب السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، أما كتب المتأخرين؛ فينتقي منها الجيد؛ فإنَّ الجيد منها قليل، ولا يشتغل به كثيرًا، وإنما يكتفي منه بأن يقرأ ما

ينفعه، ويفيده، وَيُحَصِّنُهُ في دينه، وأما تحصيله للعلم، واشتغاله بالعلم؛ فإنما يكون بالاشتغال بكتب السلف الصالح - رضوان الله عليهم -.

❁ **وإن من وسائل تحصيل العلم**: إعمالَ الذهن فهمًا وحفظًا.

وهذا الأمر قد فقده طلبة العلم في هذا الوقت المعاصر؛ فإنا نجد أن كثيرًا من طلبة العلم اليوم قد عَطَّلُوا أذهانهم، واعتمدوا علىٰ الأوراق، فهم كثيرًا ما يحضرون الحلقات، لكنهم قَلَّ ما يستفيدون؛ لأن الواحد منهم إذا حضر الحلقة لَمْ يُشْغِلْ ذهنه بما يسمع، وإنما يشغل قلمه فيكتب في الأوراق، ثم إذا انتهىٰ منها نَسِيَها، لينتقل إلىٰ الدرس غدًا، وهكذا وهكذا، ولا يراجع ما في هذه الأوراق، ولا يُثَبِّتُ ما في هذه الأوراق في صدره؛ فلا يحصِّل العلم في نفسه، وإنما تكون طريقته أنه قد أخرج العلم من الأوراق إلىٰ الأوراق، عن طريق الشيخ، ولم يثبِّت علمًا في نفسه، ولا شك أن هذا يجعل طالبَ العلم لا يحصِّل علمًا في نفسه، مهما قرأ، ومهما حضر، ومهما درس، فينبغي علىٰ طالب العلم أن يجعل الأوراق وسيلةً لتثبيت العلم في النفس، وأن يُعْمِلَ ذهنه في فهم ما يقال، وفي حفظه.

وإذا نظرنا إلىٰ السلف الصالح - رضوان الله عليهم - وجدنا أمرًا عجيبًا في حفظهم واستحضارهم، وأذكر من ذلك ويحضرني: أن الإمام أبا عيسىٰ الترمذيَّ ذُكر أنه قد كتب عن شيخ جزءَين في الحديث، فلقيه في سفر، فطلب من الشيخ أن يقرأ عليه الجزءين - وهو يظن أنه معه، ومعه أوراق بيضاء، ليس فيها شيء -، فأخذ الشيخ يقرأ عليه بألفاظه، ويلقي عليه الأحاديثَ بألفاظه، فلما انتهىٰ الشيخ

نظر إلىٰ الأوراق فإذا هي بيضاء، فقال: أما تستحي مني؟! يعني: تطلب منِّي أن أقرأ عليك وتوهمني أنها معك وليس معك شيء؟ فقال الترمذي: فأعلمته أمري، وقلت له: قد حفظتُها! فقال: اقرأ. فقرأها عليه واحدًا واحدًا بأسانيدها، لم يُخْطِئ منها حرفًا، فقال له الشيخ: قد استحضرتَ قبل أن تأتي، - يعني: قد حفظتها قبل أن تأتي -؛ لتُرِيَني أنك حافظ. فقال له الإمام الترمذيُّ: اقرأ عَلَيَّ غيرَها. قال: فقرأ عليَّ أربعين حديثًا بأسانيدها. فأعادها عليه الترمذيُّ بأسانيدها، لم يُخْطِئ منها حرفًا واحدًا[1]! فاعجب لهذا، سَمِعَها في المجلس لأول مرَّة، فَرَدَّهَا أربعين بأسانيدها، لم يخطئ منها واحدًا، وقبلها حفظ الجزءَين عندما قرأهما عليه الشيخ في السفر!

وشيخ الإسلام ابنُ تيمية كثيرًا ما نَجِدُه - كما في مجموع الفتاوىٰ[2] - يجيب عن سؤال في مائة صفحة أو يزيد، بترتيب عجيب، ويورد الأدلة من القرآن، ومن السنة، ومن أقوال السلف بألفاظهم، ومن أقوال الأئمة، فإذا انتهىٰ ظننته ينقل من كُتُب، فإذا به يقول: والمسألة تحتاج إلىٰ بَسْطٍ أكثر، لكنَّ صاحب المسألة مُسْتَوْفِزٌ عَجْلان، فيكتبها والسائل بين يديه، مستوفز عجلان، يريد أن يذهب، لكنه الحفظ!

فكان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يُعملون أذهانهم، ويجعلون الكتابة وسيلةً لحفظ ما يعلمون، أما أن تجعل الكتابة هي الغاية، فلا شك أن

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٧٣).

(٢) انظر: (٢/ ٤٧٩)، و(١٢/ ٤١٦)، و(١٣/ ٣٣١). وانظر: «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» للحافظ ابن عبد الهادي (٤٢ و٨٠، ٨١).

ذلك من الخطأ، وأن ذلك يؤدِّي إلىٰ عدم تحصيل العلم.

واعلم - يا طالب العلم - أن الذهن كالطفل؛ إذا عوَّدته علىٰ الحِفظ حَفِظ، وإذا عوَّدته علىٰ الكَسَل كَسِل؛ فالذهن كالطفل الصغير، إذا كنت تُعَلِّمُهُ فإنه يتعلم، وإذا كنت تتركه فإنه لا يتعلم، وطلبة العلم هنا علىٰ طرفين: فبعضُ طلبة العلم لا يُعوِّد نفسه علىٰ الحفظ أبدًا، وبعضُهم يريد من ذهنه أن يحفظ فوق ما يُطِيق، وكلاهما لن يُحَصِّلَ العلم؛ وإنما ينبغي لطالب العلم، أن يُدَرِّبَ ذهنه ويعوِّده، فيبدأ معه بما يستطيع أن يحفظ، ثم يترقَّىٰ معه شيئًا فشيئًا.

وأضرب لك مثالًا بالطفل: الطفلُ إذا طلبت منه أن يحفظ شيئًا كثيرًا؛ لن يستطيع أن يحفظ القليل، أما إذا بدأتَ معه بالقليل؛ فإنه سيتعود أن يحفظ، ثم ينتقل إلىٰ حفظِ الكثير، لو أنك جئت لابنك الصغير، فقلت له: احفظ الفاتحة. فإنك لو أسمعته اليوم وغدًا وبعد غد، لن يحفظ الفاتحة، لكنك إذا جئته اليوم فقلت له: قل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. فتجده يُرَدِّدُها كلما ذهب: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ثم جئته من الغد، فقلت له: قل كذا، قل كذا، قل كذا... وهكذا إلىٰ آخر السورة، فتجد أنه في كل يوم يحفظ الآية التي لقَّنته، فإذا انتهيت؛ فإذا به يحفظ السورة كاملة، ثم بعد فترة، تجد أنه يستطيع أن يحفظ آيتين في اليوم، ثُمَّ ثلاثًا، وأربعًا. وهكذا، وهكذا ذهنُك - يا طالب العلم - ابدأ معه بما يستطيع، ثم يَتَمَرَّنُ معك شيئًا فشيئًا، ثم تُحَصِّلُ الخير في ذلك.

❁ **وإن من وسائل تحصيل العلم:** القراءةَ في هِمَّةِ السلف في تحصيل العلم، فينبغي علىٰ طالب العلم أن يقرأ في كتب السلف، وفي سِيَرِ السلف؛ فإن في سيرهم أمرًا عجيبًا، واللهِ من قرأ في كتب السلف، وَعَلِمَ ما كانوا يصنعون في طلب العلم، هانَ عليه ما يُلاقِيهِ، وَعَلِمَ أنه لا يلاقي شيئًا، فقد كان السلف الصالح علىٰ جَلَدٍ عجيب.

وهذا شعبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَرْتَحِلُ شهرًا من أجل أن يحصِّل حديثًا كان عنده، لكنه كان عند غيره من طريق آخر؛ فيرتحل شهرًا من أجل أن يُحَصِّلَ الحديث من الطريق الآخر[1].

وهذا جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يشتري بعيرًا، ويذهب إلىٰ الشام ويركب بعيرَه شهرًا؛ ليسمع حديثًا واحدًا من عبد الله بن أُنَيْس لَمْ يكن سمعه من رسول الله ﷺ[2].

وهذا الإمام أحمد - وقد كان شابًّا صغيرًا بل كان طفلًا صغيرًا - يبادرُ

---

(١) انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٢/ ١٩١)، و«المحدث الفاصل» للرامهرمزي (ص٣١٣ - ٣١٤/ الخطيب)، و«القراءة خلف الإمام» للبيهقي (ص٢٠٧، ٢٠٨)، و«الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي (٥٩)، و«الكفاية في علم الرواية» له (ص٤٠٠، ٤٠١)، و«التمهيد» لابن عبد البر (١/ ٤٨ - ٥١).

(٢) ذكر قصة حديثه البخاري في صحيحه (١/ ١٧٤ - فتح الباري) مختصرًا، تعليقًا بصيغة الجزم. ووصله في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، وفي «خلق أفعال العباد» (٤٨٠)، ورواه أحمد (١٦٠٤٢) وغيره. وحسنه الحافظ في «الفتح» (١/ ١٧٤) وذكر له طرقًا، ولذلك صححه الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٢٦).

للخروج من البيت في آخر الليل؛ من أجل الوصول إلىٰ حلقة العلم، فكانت أمُّه تأخذ بثوبه وتقول: حتىٰ يطلع الفجر، حتىٰ يطلع الفجر[١]. وكان عندما أراد أن يَرْتَحِلَ إلىٰ عبد الرزاق في اليمن، لم يكن عنده شيء من الدنيا، فآجر نفسه علىٰ قافلة، وعمل أجيرًا مع القافلة؛ حتىٰ يرتحل إلىٰ عبد الرزاق[٢].

وإذا قرأنا في سير السلف، وجدنا شيئًا عجيبًا، وقد قرأتُ شيئًا في «سِيَرِ أعلامِ النبلاء»[٣] أحِبُّ أن تسمعوه؛ فإن فيه أمرًا عجيبًا؛ يقول أبو حاتمٍ الرزاي - وهو من أئمة الحديث وحفاظه -:

«أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين، أحصيت ما مشيت علىٰ قدمي زيادة علىٰ ألف فرسخ».

قال الذهبي: «مسافةُ ذلك نحو أربعة أشهر، سير الجادة»، أي أن مجموع ما ساره علىٰ قدميه في طلب الحديث في هذه السنين السبع؛ سير أربعة أشهر سيرًا حثيثًا.

قال أبو حاتم: «ثم تركت العد بعد ذلك، وخرجت من البحرين إلىٰ مصر ماشيًا، ثم إلىٰ الرملة ماشيًا، ثم إلىٰ دمشق ماشيًا، ثم أنطاكية ماشيًا، وطرطوس ماشيًا، ثم رجعت إلىٰ حمص ماشيًا، ثم إلىٰ الرملة ماشيًا، ثم ركبت إلىٰ العراق، كل

(١) **انظر**: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٠٦).

(٢) **انظر**: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٩٤).

(٣) (١٣/ ٢٥٥)، وقد رواه عن أبي حاتم ابنه عبد الرحمن في الجرح والتعديل (١/ ٣٥٩)، وعنه نقله الذهبي.

هذا في سفري الأول، وأنا ابنُ عشرين سنة».

وقال أبو حاتم - أيضًا -: «بَقِيتُ في البصرة، سنة أربع عشر؛ ثمانية أشهر، وكان في نفسي أن أقيم سنة، فانقطعتْ نفقتي؛ فجعلت أبيع ثياب بدني شيئًا بعد شيء، حتىٰ بقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لي إلىٰ المَشْيَخَة، وأسمع منهم إلىٰ المساء، فانصرف رفيقي، ورجعت إلىٰ بيت خالٍ، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت من الغد، فغدا عليَّ رفيقي، فجعلت أطوف معه في سماع الحديث، علىٰ جوع شديد، فانصرف عني وانصرفت جائعًا، فلما كان من الغد، غدا عليَّ رفيقي، فقال: مُرَّ بنا إلىٰ المشايخ. فقلت: أنا ضعيفٌ لا يُمْكِنُنِي. قال: ما ضعفك؟ قلت: لا أَكْتُمُكَ أمري، قد مضىٰ يومان ما طَعِمْتُ فيهما شيئًا. فقال: قد بقي معي دينار، فأنا أواسيك بنصفه، ونجعل النصف الآخر في الكراء، فخرجنا من البصرة، وقبضت منه النصف دينار»[1].

وقال أيضًا: «لما خرجنا من المدينة، من عند داود الجعفري، صِرنا إلىٰ الجار، وركبنا البحر، وكنا ثلاثة أنفس... فكانت الرِّيح في وجوهنا، فبقينا في البحر ثلاثةَ أشهر، وضاقت صدورُنا، وفني ما كان معنا من الزاد، و[بقيت بقيَّة، فخرجنا إلىٰ البر، فجعلنا نمشي أيامًا علىٰ البر، حتىٰ فَنِي ما كان معنا من الزاد والماء، فمشينا يومًا وليلة، لم يأكل أحد منَّا شيئًا، ولا شربنا، واليوم الثاني كمثل،

(١) روىٰ القصة ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، باب ما لقي أبي من المقاساة في طلب العلم من الشدة (١/ ٣٦٣)، ونقلها الذهبي في «السير» (١٣/ ٢٥٦، ٢٥٧).

واليوم الثالث، فلما كان يكون المساء صلَّينا، وكنا نُلْقِي بأنفسنا حيث كنَّا، وقد ضعفت أبدانُنا من الجوع والعطش والعياء، فلما أصبحنا في اليوم الثالث جعلنا نمشي علىٰ قدر طاقتنا، فسقط الشيخ مغشيًّا عليه، فجئنا نُحَرِّكُهُ وهو لا يعقل، فتركناه ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري قدر فرسخ، أو فرسخين، فَضعُفْتُ وَسَقَطْتُ مغشيًّا عليَّ، ومضىٰ صاحبي وتركني، فلم يزل هو يمشي، إذ بصر من بعيد قومًا قد قربوا سفينتهم من البر، ونزلوا علىٰ بئر موسىٰ ﷺ، فلما عاينهم لَوَّح بثوبه إليهم، فجاؤوه معهم الماء في إداوة، فسقوه وأخذوا بيده، فقال لهم: الحقوا رفيقين لي قد ألقوا بأنفسهم مغشيًّا عليهم، فما شعرت إلا برجل يصبُّ الماء علىٰ وجهي، ففتحت عيني، فقلت: اسقني. فصبَّ من الماء في ركوة أو مشربة شيئًا يسيرًا، فشربت، ورجعت إليَّ نفسي، ولم يُرْوِنِي ذلك القدر فقلت: اسقني. فسقاني شيئًا يسيرًا وأخذ بيدي، فقلت: ورائي شيخ مُلقًىٰ. قال: قد ذهب إلىٰ ذاك جماعة، وأخذ بيدي وأنا أمشي وَأَجُرُّ رجلي، حتىٰ إذا بلغت إلىٰ عند سفينتهم، وأتوا بالشيخ وأحسنوا إلينا، فبقينا أيامًا، حتىٰ رجعت إلينا أنفسنا، ثم كتبوا لنا كتابًا إلىٰ مدينة يقال لها: راية. إلىٰ واليهم، وزودونا من الكعك والسويق والماء، فلم نزل نمشي، حتىٰ نَفِدَ ما كان معنا من الماء والقوت، فجعلنا نمشي جياعًا علىٰ شطِّ البحر، حتىٰ دفعنا إلىٰ سُلَحْفَاةٍ مثل التُّرْسِ، فعمدنا إلىٰ حجر كبير، فضربنا علىٰ ظهرها، فانفلق فإذا فيها مثل صُفْرَةِ البيض، فأخذنا من بعض الأصداف الملقىٰ علىٰ شط البحر، فجعلنا نغترف من ذلك الأصفر، فتحسَّيناه

حتىٰ سكن عنا الجوع، ثم وصلنا إلىٰ مدينة الراية، وأوصلنا الكتاب إلىٰ عاملها، فأنزلنا في داره، فكان يقدِّم لنا كل يوم القرع، ويقول لخادمه: هات لهم اليقطين المبارك، هات لهم اليقطين المبارك. فَيُقَدِّمُهُ مع الخبز أيامًا، فقال واحد منَّا بالفارسية: ألا تدعو باللحم المشؤوم؟! وجعل يُسمع الرجل صاحب الدار، [لأن صاحبهم في كل يوم يقول: هات لهم اليقطين المبارك. فاشتهوا اللحم، فقال أحدهم: ألا تدعو باللحم المشؤوم؟!]، فقال صاحب الدار: أنا أُحسنُ الفارسية؛ فإن جدَّتي كانت هروية. قال: فأتانا بعد ذلك باللحم، ثم خرجنا من هناك وزودنا إلىٰ أن بلغنا مصر»[1].

وكان يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سِرْتُ من الكوفة إلىٰ بغداد، ما لا أحصي كم مرة»[2].

وأما ابنهُ عبد الرحمن فَعَجَبٌ في الطلب، كان من أشدِّ الناس طلبًا للحديث، حتىٰ أنه حكىٰ أنه كان يقرأ علىٰ أبيه بالمسجد، ويقرأ علىٰ أبيه بالطريق، ويقرأ علىٰ أبيه إذا دخل المَنْزِل، ويقرأ علىٰ أبيه إذا دخل الْخَلاء، ويقرأ علىٰ أبيه إذا جلس ليشرب[3]، فكان لا يترك فُرْصَةً لطلب العلم، إلا واغتنمها.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُنَّا بِمِصْرَ سبعة أشهر، لم نأكل فيه مرقة»، يعني: لم نأكل فيها

(١) القصة بتمامها في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٣٦٤ - ٣٦٦).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٥٩).

(٣) انظر: «سير السلف الصالحين» لقوام السنة الأصبهاني (ص١٢٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢/ ١٢)، والسير (١٣/ ٢٥١).

شيئًا مطبوخًا؛ «نهارنا مُقَسَّمٌ لِمَجالِسِ الشيوخ، وبالليل النَّسْخُ والمقابلة»، قال: «فأتينا يومًا أنا ورفيقٌ لي شيخًا، فقالوا: هو عليل»؛ ذهبا إلىٰ بيت شيخ ليقرآ عليه، فقيل لهما: هو عليل. قال: «فرأينا في طريقنا سَمَكَةً أعجبتنا، فاشتريناها، فلما صِرنا إلىٰ البيت، حضر وقتُ مَجْلِس بعض الشيوخ، فلم يمكنَّا إصلاحُه، ومضينا إلىٰ المجلس، فَلَمْ نزل حتىٰ أتىٰ عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير، فأكلناه نيئًا، لم يكن لنا فراغ أن نُعْطِيَهَا مَنْ يشويهَا»[1].

وقال: «لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجَسَدِ»[2].

سبعةُ أشهر هو ورفيقه في مصر يطلبون الحديث، لَمْ يأكلوا شيئًا مطبوخًا؛ لأنه لا وقت عندهم؛ نهارُهم في مجالس العلم، وليلهم للنسخ والمقابلة، حتىٰ أتتهم فرصة يومًا، فكان الشيخ عليلًا، فاشتريا سمكة أعجبتهم، وعندما وصلا البيت كان وقت الدرس قد بدأ، فتركاها وذهبا إلىٰ الدرس، وبقيت ثلاثة أيام لَمْ تُقْرَب، فلما خشيا أن تتغير أكلاها نيئة من غير طبخ، لم يكن لديهما الوقت لِيُرْسِلاها إلىٰ من يطبخها لهم!!

هكذا كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، وهكذا كانت هِمَّةُ السلف الصالح - رضوان الله عليهم - في طلب العلم، فينبغي علىٰ طلبة العلم، أن يكثروا من قراءة سير السلف؛ لَعَلَّ ذلك أن يحيي ما مات، لعل ذلك أن ينشط

---

(١) «سير السلف الصالحين» (ص١٢٣٦)، و«تاريخ دمشق» (٣٥/ ٣٦١)، و«السير» (١٣/ ٢٦٦).

(٢) «سير السلف الصالحين» (ص١٢٣٥)، و«تاريخ دمشق» (٣٥/ ٣٦١).

الهمم، ويقوِّي العزائم، لعلَّ طلبة العلم أن تنشط هممهم في طلب العلم.

وبالمناسبة: فإني أنصح طلبة العلم بقراءة كتاب «سير أعلام النبلاء»، وبالإكثار من قراءته؛ فهو كنز عجيب، فيه الكثير من الفوائد، وفيه الكثير من العلوم، فيه ما لا تَجِدُهُ في غيره؛ من تربية، وتعليم، وتأصيل، فينبغي علىٰ طلبة العلم أن يداوموا النظر في مثل هذا الكتاب؛ ليتعلَّموا من السلف الصالح - رضوان الله عليهم -؛ لعلهم أن يلحقوا بهم، لعل طلبة العلم أن يتخلقوا بأخلاقهم، فيلحقوا بهم، ولن يُصْلِحَ آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أوَّلَها، فلا بدَّ من رجال يتخلقون بأخلاق السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، وَيَنْهَلُون مِنْ مَعِينِهِم، حتىٰ تصلح هذه الأمة في آخرها.

۞ **وإن من وسائل تحصيل العلم:** عدمَ الانشغال بفضول الحياة؛ فإن من المصائب في هذا الزمن أن طلبة العلم ينشغل كثير منهم بفضول الحياة، فلا تراه إلا زائرًا في يوم عند فلان، وفي اليوم الثاني عند فلان، وقد يزور في اليوم الواحد ثلاثة أو أربعة، يتحدَّث مع هذا في أمور الدنيا، ويتحدث مع ذاك في أمور الدنيا، يتقلَّب بين هذا وذاك، ولا يبقىٰ له من الوقت لطلب العلم إلا القليل، تَجِدُ أنه مشغول طوال الوقت بفضول الحياة، ولا شك أن هذا خطأ، وأن السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ما كان الواحد منهم يشتغل بفضول الحياة، إلا بما ما لا بدَّ منه؛ كأن يكون في زيارة لصلة رحم، أو زيارة لإخوة بمقدار معيَّن.
أما ما يفعله كثيرٌ من طلبة العلم اليوم؛ فلا شك أنه خطر وزلل، ولعل أقل ما فيه

أنه يجعل طالب العلم يستثقل مجالس العلم، ويستخف مجالس الزيارات، فتجد أن أثقل شيء عليه أن يذهب إلىٰ حلقة علم، فإذا ذهب إلىٰ الحلقة، رأيت رأسه يضرب رُكْبَتَيْهِ نُعاسًا، أما إذا حضر في تِلكُم الجلسات، التي تكون فيها الضحكات؛ وجدته نشيطًا مُتَكَلِّمًا بارِعًا، لا شك أن هذا من الخطأ، ومن أسباب غفلة طالب العلم عن العلم، فينبغي لطالب العلم أن يغيِّر حياتَه، وأن يجعل لكل شيء وقتًا معيَّنًا، ومقدارًا معينًا يليق به؛ فلا ينقطع عن الناس، وإنما يكون اجتماعه بهم بمقدار يليق به، ولا ينشغل عن طلب العلم بذلك.

ومما يتعلق بهذا أنه ينبغي علىٰ طالب العلم أن يَرُدَّ كل أمر إلىٰ أهلِهِ، ليس من اللائق بطالب العلم أن يَخُوضَ في كل شيء، وَكُلَّما حدث شيء، رأيته من الْمُسابقين إليه، الخائضين فيه، الْمُضَيِّعِينَ للوقت فيه، لا شك أن هذا من الخطأ؛ ينبغي علىٰ طالب العلم أن يعرف قدره، وأن يقبل علىٰ شأنه، وأن يشتغل بما ينفعه، أمَّا ما لا يكون له، وإنما يكون إلىٰ أهل العلم، يكون إلىٰ المشايخ، يكون إلىٰ الكبار؛ فينبغي عليه أن يَرُدَّهُ إليهم.

ومن فقه السلف الصالح - رضوان الله عليهم - أنهم كانوا يقولون: «إِنَّا لَا نَتَكَلَّمُ عِنْدَ كُبَرَائِنَا»[1].

فكان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يجعلون ما للكبار للكبار،

(١) رواه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٧٠٦). وانظر منه باب: «مَنْ كَرِهَ التَّحْدِيثَ بِحَضْرَةِ مَنْ هُوَ أَسَنُّ أَوْ أَعْلَمُ مِنْهُ».

وإنما يشتغل كُلُّ واحد منهم، بما ينبغي أن يشتغل فيه. بعضُ طلبة العلم اليوم تجدهم يخوضون في كل شيء، ويدخلون في كل شيء، ولو لم يكن لهم؛ فلا يستفيدون شيئًا، ولا يُفِيدُونَ شيئًا، وإنما يُضِيعُونَ الأوقات، ويقعون في الخطأ والزلل، ينبغي علىٰ طالب العلم أن يعرف قدره، وأن يقف حيث يجب أن يقف، وأن لا يزيد علىٰ ذلك، وأن لا يكون من المسارعين في كل شيء، إذا سمع بصوت يمينًا سار إليه، وإذا سمع بصوت شمالًا طار إليه، لا ينبغي هذا لطالب العلم، وإنما ينبغي لطالب العلم أن يشتغل بطلب العلم، وأن يَرُدَّ كل أمر إلىٰ أهله، وأن يعرف لأهل العلم قدرهم، وأن يعرف قدر نفسه.

۞ **وإن من وسائل طلب العلم**: أن يختار طالب العلم الرِّفْقَةَ الصالحة، التي لها هِمَّةٌ عاليةٌ في طلب العلم، يا طالب العلم: إذا أردت أن تختار رفيقًا؛ فاختر رفيقًا صالحًا، ذا همَّة عالية في طلب العلم، يَجُرُّكَ إلىٰ طلب العلم، ولا يَرُدُّكَ إلىٰ طلب الدنيا، يجعلك من المسارعين إلىٰ الحلقات، ولا يكون من الْمُثَبِّطِينَ لك؛ فَإِنَّ الصَّاحِبَ سَاحِبٌ، والصاحب لا بُدَّ أن يُؤَثِّرَ في صاحبه؛ ولذلك يقول النبيُّ ﷺ: «**مثلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحَرِّقَ ثِيَابَكَ، وِإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**»(١)، فطالب العلم إذا اختار رفيقًا صالحًا، ذا هِمَّةٍ عالية؛ إما أن يُهْدِيَهُ هَدِيَّة، وأن يزيده في العلم، وأن

---

(١) رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

يعطيه الفوائد، وإما أن يأخذه إلىٰ المجالس الصالحة، وإما أن يأخذه إلىٰ مجالس العلماء، وإما أن يتخلق بأخلاقه؛ فتجد فيه حِرْصًا وَشِدَّةً في الطلب، وخيرًا كثيرًا، أما إذا اختار طالب العلم رفيقًا دونه في الهمَّة، ودونه في الصلاح؛ فإن ذلك قد يَجُرُّهُ إلىٰ دون ما يريد؛ فإنه قد يُثَقِّلُ عليه حِلَق العلم، ويقول له: لو فعلنا كذا لكان أحسن. وكم من طالب علم عَرَفْتُهُ، كان شديد الحرص علىٰ حضور الحلقات، فلما اتَّخَذَ له صاحبًا مُثَبِّطًا، بدأ يترك طلب العلم شيئًا فشيئًا.

فمما يَحْضُرُنِي: أن أحد طلبة العلم كان من الحريصين علىٰ حِلَقِ العلم، فلما اتخذ صاحبًا يُثَبِّطُهُ في ذلك، قال له: تَعال ولنجتمع أنا وأنت علىٰ درس في شريط؛ فنكون أَلْيَقَ بالعلم وأضبط وأسمع. فلما جلسا علىٰ الشريط، أصبح هذا يأتي يومًا، وذاك يتأخر يومًا، وقد ثَقُلَتْ عليهم الحلقات، وَلَمْ يُحَصِّلُوا العلم من الأشرطة، حتىٰ ذاب ما كان عنده من هِمَّة، وزال ما عنده من همة، فترك طريق طلب العلم.

فينبغي لطالب العلم، أن يتخذ رفيقًا صالحًا، ذا همة عالية في طلب العلم؛ حتىٰ يكون مُحَصِّلًا لطلب العلم، سائرًا في طريقه.

۞ **وإن من وسائل تحصيل العلم**: أن يحرص طالب العلم علىٰ الاستفادة من وسائل العلم، بكل صُوَرِهَا.

ومن ذلك: أن يكون حريصًا علىٰ حضور حلقات العلم، وهذا هو الطريق الذي كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يَتَّخِذُونَهُ طريقًا لطلب العلم.

وإن من نِعَمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ علىٰ طالب العلم في هذا العصر، أن فتح له آفاقًا

جديدة، ويسَّر أمورًا جديدة، يستطيع أن يَطْلُبَ بها العلم، ومن ذلك: أن يتخذ طالبُ العلم دروسًا عِلْمِيَّةً مفيدة من الأشرطة الْمُسَجَّلَةِ، فقد يتعلَّم اليوم طالبُ العلم علىٰ شيخٍ قد مات، وقد يتعلَّم وهو في غُرْفَةِ نَوْمِهِ، وقد يتعلَّم وهو جالس في بيته، إلا أنه ينبغي - أيها الإخوة - علىٰ طالب العلم إذا اتخذ هذا الطريق أن لا يستغنيَ به عن حلق العلم، وإنما يجعله رافدًا مع الْحِلَقِ، فأول أمر هو حِلَقُ أهل العلم، ثم يجعل ذلك رافدًا مع الحلق، بشرط أن يعاملَه كما يعاملُ الشيخ، فيتخذه درسًا، ويتخذ الشيخ معلِّمًا، وَيُقَيِّدُ علىٰ كتابه ما يستفيده من الشريط، وفي ذلك خير عظيم، وفائدة كبيرة.

ومن ذلك أيضًا: الدروس العلمية النافعة، التي تلقىٰ في «الشبكة العنكبوتية الدولية» التي تُسَمَّىٰ بـ «الإنترنت»؛ فإن هناك دروسًا طَيِّبَةً، تلقىٰ في هذه الشبكة، ينبغي علىٰ طالب العلم، إذا وجد وقتًا أن يستفيد منها، وأن يحرص علىٰ الاستفادة منها، بشرط: أن لا تلهيه عن الحِلَق، وأن لا تلهيه عن طلب العلم علىٰ المشايخ؛ فإن أخذ العلم عن المشايخ مشافهة هو الأصل في طريق طلب العلم.

وبقي أمرٌ أُحِبُّ أن أنبِّه عليه الإخوة - قبل أن أختم كلامي عن الوسائل، وأنتقل إلىٰ شيء من الثمار -؛ وهو أنه ينبغي علىٰ طلبة العلم أن يُحَدِّدُوا لهم وَقْتًا للمراجعة، ينبغي لطالب العلم أن يجعل له وقتًا ليراجع ما أخذ، أما أن يأخذ طالبُ العلمِ العلمَ، ثم ينساه بعد هذا، ولا يرجع إليه؛ فإن هذا لا ينفع طالب العلم، وإنما ينبغي لطالب العلم أن يُحَدِّدَ له وقتًا للمراجعة، ويا حبَّذا لو كانت

المراجعة مع زميل آخر، ومن ذلك - مثلًا - أن يجعل وقتًا للمراجعة اليومية، ففي كل يوم بعد أن ينتهيَ من الدروس، يراجعُ مع زميله ما أخذاه، ويضع كل واحد منهم عنصرًا عنصرًا بالفوائد التي أخذوها، ثم يجعل مراجعة أسبوعية، فيجعل - مثلًا - يوم الجمعة وقتًا لمراجعة ما استفاده في الأسبوع، ثم يجعل مراجعةً شهريةً، فيجعل يومًا في الشهر ليراجع ما أخذه في شهره، وهكذا، وهذا كان يُعرف عند السلف بـ«النسخ والمقابلة»، وذلك من حرصهم علىٰ تدقيق الحديث، فينبغي علىٰ طلبة العلم أن يتخذوا هذه الخطة، وأن يجعلوا المراجعة أمرًا مُهِمًّا في جدولهم.

ومن الفوائد النافعة التي جرَّبناها ووجدنا أنها تنفعُ طالبَ العلم كثيرًا: أن يُفَهْرِسَ طالبُ العلم الفوائد التي أخذها، وأن يجعل فهرسًا علىٰ الكتاب؛ يفهرس فيه الفوائد فيرتِّبها ترتيبًا، ويكتب - مثلًا -: فائدة كذا في صفحة كذا، وفائدة كذا في صفحة كذا. وفائدة كذا في صفحة كذا، وهذا مفيدٌ جدًّا لطالب العلم؛ إذ قد يحتاج طالبُ العلم إلىٰ مراجعةِ فائدة أو مراجعة مسألة، فإذا كان قد فهرس الفوائد علىٰ الكتاب؛ فإنه يَسْهُلُ عليه ذلك، لاسِيَّما إذا كانت الفوائد متنوِّعةً وكثيرةً، وقد جرَّبنا هذا، وجرَّب غيرنا، فوَجدنا في ذلك خيرًا عظيمًا، وفائدةً كبيرةً.

ومن ذلك - مثلًا -: أن مَجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ذاك المجموع المبارك، الذي فيه من الفوائد ما لا يُعَدُّ ولا يحصىٰ - تجد فيه فوائد في غير موطنها، فكنت أحتاج إلىٰ مراجعة هذا الكتاب، فقد كان يلزمني

الوقت الكثير حتىٰ أتمكن من الوصول إلىٰ الفائدة، ثم شاء الله عَزَّوَجَلَّ ففهرست فوائد مجموع الفتاوىٰ، فأكتب الفائدة علىٰ كل مجلد علىٰ حدة، ثم جمعت فهارس الفوائد في كل مكان علىٰ حدة، فتيسَّر لي الرجوع إلىٰ هذا الكتاب والاستفادة منه كلما احتجت إليه في مسألة، ولا شك أن ذلك ينفع طالب العلم كثيرًا في تحصيل العلم، وفي ضبط وقته من الضياع في مراجعة طويلة.

هذه - أيُّها الإخوة - بعض الأمور التي حضرتني في بيان وسائل تحصيل العلم.

۞ ۞ ۞

وأمَّا ثِمار تحصيل العلم: فهي كثيرة جدًّا، قد ذكرت بعضها، ولا يسعني أن أحيط بها كلِّها، لاسيما وقد أخذنا من الوقت الشيء الكثير.

۞ **ومن ثمار العلم:** أن كل خير يعود إليه، فالعلمُ شجرة مباركة؛ ولذلك يقول ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل صفة مدح الله بهَا العَبْد فِي الْقُرْآن فَهِيَ ثَمَرَة الْعِلْمِ ونتيجته، وكل ذمٍّ ذمه فَهُوَ ثَمَرَة الْجَهْل ونتيجته»[1]، فالعلمُ شجرة مباركة لها ثِمارٌ يانعة.

۞ **ومن ثمار العلم:** صِحَّةُ العقيدة، فمن تعلَّم العلمَ الشرعي من كتب السلف الصالح - رضوان الله عليهم -؛ صَحَّتْ عقيدتُه، وَحَسُنَتْ معرفته بربِّه، وعرف قَدْرَ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، ومن عرف الله حقَّ الْمَعْرِفَة؛ خَشِيَهُ حَقَّ الخشية؛ فإن صحة

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١١٥ - الكتب العلمية).

العقيدة من أعظم ما يُحَصِّلُهُ طالب العلم إن استقام في طلب العلم، وكان طلبه العلم علىٰ كتب السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، وهذا من أعظم الثِّمار التي ينبغي لطالب العلم أن يحرص عليها.

❁ **ومن ثمار تحصيل العلم**: صلاحُ العمل؛ فإن طالب العلم إذا تَعَلَّم صَلُحَ عمله؛ فَإِنَّ من شرط قبول العمل المتابعةَ لرسول الله ﷺ، ومتابعةُ رسول الله ﷺ لا تُعْرَفُ إلا بالعلم.

ولهذا؛ عندما ذُكِرَ للنبيِّ ﷺ رجلان أحدُهما عابد والآخرُ عالِم، قال: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ**»، ثُمَّ قال: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْض حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّىٰ الْحُوت لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**»[1].

وَسِرُّ ذلك - **أيها الأحبَّة** - **ما قاله العلماء**: من أن العالِم العابد يَعْرِفُ ما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ فيفعله، ويعرف ما يسخط الله عَزَّوَجَلَّ فيبتعد عنه؛ فيكون عمله صحيحًا مقبولًا، أما العابد بدون علم؛ فإنه قد يأتي ليرضيَ الله عَزَّوَجَلَّ فيقع فيما يسخطه. وآيةُ ذلك ظاهرةٌ بيِّنَةٌ؛ فإنك إذا نظرت إلىٰ المسلمين الذين يتعبَّدون الله عَزَّوَجَلَّ بجهل وجدت منهم أمرًا عجيبًا، فقد تجد المسلم يأتي ليتقرَّب إلىٰ الله، يريد أن يرضي الله، فيذبح لقبر، أو لوليٍّ، وهو يظن أنه قد فعل أمرًا عظيمًا! وقد يستدين

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥) وقال: «حسن صحيح غريب». وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٩): «حسن لغيره».

لذلك دينًا كبيرًا! ولا يعلم المسكين أنه قد وقع في الإشراك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهكذا تجد أن بعض الناس إذا أراد أن يسير علىٰ منهج، يسير عليه بعاطفة وجهل، ولا يهتدي بعلم، فيخبط خبطًا، ولا يسير علىٰ بصيرة، فلا يكون عمله صالحًا، ولا يكون عمله طيبًا، وهو في ذلك مثل النصارىٰ، الذين كانوا يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ بجهل؛ فكانوا من الضالين.

وَمِمَّا يدل علىٰ ذلك: ما جاء في الحديث أن النبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ**»، هذا العبد - أيُّها الأحبَّة - رزقه الله مالًا، ورزقه علمًا، فهو يعمل في ماله بالعلم، فيعمل فيه بما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ، فهو بأفضل المنازل.

«**وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ؛ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ. فَهُوَ بِنِيَّتِهِ؛ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ**»، هذا العبد أحسنَ نِيَّتَهُ، لم يكن له مال ليعمل فيه، لكنَّ اللهَ رَزَقَهُ علمًا، فأحسنَ نِيَّتَهُ، فكان أجره كأجر العامل.

لاحظوا - يا إخوة - وقارنوا: هذان رجلان رزقهما الله عَزَّوَجَلَّ العلم، فكان عملهما بعلم، أحدهما عمل بالمال بعلم، والآخر نوىٰ أن يعمل بهذا العلم؛ فكانا بأفضل المنازل. قارنوا مع الآخرين:

«**وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا؛ فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ**»؛ وهذا

يدلُّنا علىٰ أن العمل بغير علم لا خيرَ فيه، فهذا رجل قد آتاه الله مالًا، لكن لَمْ يرزقه علمًا، فلم يعمل في ماله بما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ؛ فكان بأخبث المنازل.

«**وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا؛ فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ. فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»(١)، فهذا الرجل لَمْ يرزقه الله مالًا، ولم يرزقه علمًا، ولما كان جاهلًا كانت نيَّته خبيثة، فكان يقول: لو رزقني الله مالًا لعملت مثل هذا الرجل الذي يخبط في ماله خبطًا. فكان بنيَّته كالفاعل؛ فهما في الْوِزْرِ سواء.

فَيَدُلُّنا ذلك - أيُّها الأحبَّة - علىٰ أن العلمَ هو الذي يعرف به العبدُ حَقَّ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فيكون عمله صالحًا، خالصًا لله عَزَّوَجَلَّ؛ فيكون ذلك مُتقبَّلًا.

❁ **وإن من ثمار العلم**: صحَّة الدعوة؛ فمن حصَّل العلم؛ صحَّت دعوتُهُ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فالله عَزَّوَجَلَّ يأمر نبيَّه ﷺ أن يقول: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾، هذه طريقي. ما هي؟ ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ علىٰ علم ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ﴾. فهذا منهج رسول الله ﷺ ومنهج من اتبعه حقًّا وصدقًا: يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة وعلم، ومن دعا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ بصيرة وعلم؛ فهو بأعظم المنازل، لا يتَّبع في دعوته العواطِف العواصِف،

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨). وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢١٢): «صحيح لغيره».

ولا يتَّبع الجهل، وإنما يتَّبع رسولَ الله ﷺ؛ لأنه تعلَّم العلم، وعلم ما كان يعمله رسول الله ﷺ؛ فهو يسير بسير رسول الله ﷺ، ويقف بوقوف رسول الله ﷺ، علىٰ ضَوء فهم السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، فيكون في منجا؛ لأن النبيَّ ﷺ يقول: «**فَإِنَّ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»[1].

بعض طلبة العلم اليوم يقولون: نحن نرىٰ اختلافًا كثيرًا، ونرىٰ تباينًا بين الناس، فماذا نصنع؟!

هذا رسولُ الله ﷺ يُبَيِّنُ وَيُرْشِدُ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، ولذلك؛ كان الإمام الزُّهري والإمام مالك وغيرهما من السلف يقولون: «السُّنَّةُ سَفِينَةُ النَّجَاةِ»[2]،

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٤). وقال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه جماعة من الحفاظ؛ كما في «إرواء الغليل» للألباني (٨/ ١٠٧ - ١٠٨).

(٢) **قول مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رواه الهروي في «ذم الكلام» (٥/ ٨٠، ٨١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٣٤٧ - العلمية)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ٩).

وقول الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رواه الدارمي (٩٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (١٥٩) و(١٦٠)، والدينوري في «المجالسة» (٣٦٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٥) و(١٣٦) و(١٣٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٦٩)، والبيهقي في «المدخل» (٨٦٠)، والهروي في «ذم الكلام» (٤٥٨ - الشبل) بألفاظ متقاربة، ولفظه عند الدارمي ومن وافقه: «كَانَ مَنْ مَضَىٰ مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا؛ فَنَعْشُ =

وصدقوا - والله -؛ فالحياة طوفان، والسنة سفينة النجاة، فمن ركب في السفينة فقد عصمه الله، ومَنْ قال: سآوي إلىٰ جبل يعصمني من الماء! مَنْ قال: سآوي إلىٰ الْمُفَكِّرِ الفلاني! مَنْ قال: سآوي إلىٰ الشيخ الفلاني! مَنْ قال: سآوي إلىٰ فُلانٍ وَفُلانٍ! وترك السنة؛ فوالله ليغرقن ثم ليغرقن ثم ليغرقن، السنة هي سفينة النجاة، فمن أراد أن يكون في سفينة النجاة في دعوته إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلينطلق في دعوته علىٰ بصيرة، فليتعلم ثم لِيُعَلِّم، فليدع إلىٰ الله، وهو يعلم ما يدعو إليه، ولذلك كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يقولون: إنه لا بُدَّ لمن ينكر المنكر، أن يعلم أنه منكر قبل أن ينكره، فلا بُدَّ من العلم ثم العمل، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، ولذلك؛ بَوَّبَ البخاريُّ علىٰ هذه الآية: «بابٌ: العلمُ قبلَ القولِ والعمل»[(١)]، فلا بد من العلم، وَمَنْ عَلِمَ صَحَّتْ دعوته، أما من دعا إلىٰ الله بجهل فهو يَخْبِطُ خَبْطًا، ولا بُدَّ أن يكون داعيةً إلىٰ ضلال في حال من الأحوال - والعياذ بالله -.

❁ **ومن ثمار العلم:** حُسْنُ الْخُلُقِ، وما أدراك ما حسن الخلق؟! ثمرة عظيمة.

إن العلم - أيُّها الأحبَّة - يُحَسِّنُ خُلُقَ الْمُسْلِمِ، وإن الخلق من أعظم ما يكتسبه المسلم، فلا يكتسبُ المسلم بعد الإيمان شيئًا أعظم من الخلق الحسن؛ فينبغي لطالب العلم أن يتنبَّه لهذه الثمرة، وأن يجعل العِلم مُحَسِّنًا لِخُلُقِهِ، مُهَذِّبًا

=

الْعِلْم ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَفِي ذَهَابِ الْعِلْم ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ».

(١) (١/ ١٦٠ - فتح الباري).

لنفسه، فيكون بارًّا بوالدَيه، واصلًا لِرَحِمِهِ، حَسَنَ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ، حَسَنَ التعامُلِ مع أسرته، يكون خيرًا علىٰ أهله.

وإن من الأسفِ الشديدِ - أيُّها الأحبَّة - أن بعض طلبة العلم قد أعطَوا عن طلبة العلم صورة ليست طيبة؛ فتجده في بيته من أشدِّ الناس علىٰ أهله، وَتجده إذا كان يعامل والديه، من أشد الناس عقوقًا لهما، إذا طلبا منه شيئًا قال: أنا عندي درس الآن. إذا طلبا منه أن يوصلهما إلىٰ مكان، قال: أنا عندي موعد مع الشباب. إذا طلبا منه أمرًا، قال: أنا عندي وعندي وعندي!! مِمَّا جعل بعض الآباء لا يَتَمَنَّوْنَ لأبنائهم أن يكونوا من طلبة العلم.

بعضُ طلبة العلم لا يعرف لزوجته حقًّا، ولا يعطيها من نفسه حظًّا أبدًا، يَهْجُرُها طوال وقته، هو مع الشباب في حلق العلم، لا يُنَظِّمُ وقته، ولا يعرف لأهله الوقت الذي ينبغي، وإذا دخل عليهم دخل كالأسد الهصور، جَنَّتُهُ لأصدقائه، ونارُه لزوجته، ترك الكلام والابتسام لأصدقائه وإخوانه، وترك العبوس والشتائم والصراخ لأهله في بيته.

لا شكَّ - أيُّها الإخوة - أن هذا من الخطأ العظيم؛ فينبغي علىٰ طالب العلم أن يجعل العلم مثمرًا في نفسه حُسْنَ الخلق، وقد كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - آيةً في هذا، حتىٰ كان الإمام أحمد يقول: «لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا لُقْمَةٌ فَوَضَعَهَا الرَّجُلُ فِي فِي أَخِيهِ لَمْ يَكُنْ إِسْرَافًا»[1]؛ هذا من حسن الخلق، لو أن الدنيا جمعت

---

(١) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلىٰ (١/ ١٠٦ - الفقي)، و«الفروع» لابن مفلح (٨/٧ - =

لك في لُقمة؛ فَجعلتها في فم أخيك المسلم؛ لما كان إسرافًا.

كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - آيةً في حسن الخلق، فينبغي على طلبة العلم أن يستفيدوا من علمهم حسن الخلق، وأن يكونوا قرآنًا يمشي بين الناس، يراهم الناس فيقولون: هكذا العلم. ينبغي أنه إذا رأى الإنسانُ طالبَ العلم، أن يقول لأبنائه: كونوا مثل هذا. كما كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم -.

❁ **وإن من ثمار طلب العلم**: الثوابَ عند الطلب؛ فطالبُ العلم ما إنْ يسلك طريق طلب العلم إلَّا ويكونُ في طريق عظيم، ويكون في ثواب عظيم، وأجر عظيم، وقد قدَّمتُ في أوَّلِ كلامي إلْمَاحَةً إلى ما ورد في فضل طالب العلم عند الطلب.

❁ **ومن ثمار العلم**: عُمُومُ النَّفْعِ الصحيح.

طالب العلم يَعُمُّ نفعه ويكون صحيحًا، ليس كل نفع عامٍّ يكون صحيحًا؛ لأن الإنسان قد يَعُمُّ نفعه، ويظنه نفعًا، لكنَّه يكون ضررًا، ولا يكون النفع صحيحًا إلا إذا كان منطلقًا عن علم، فطالبُ العلم نفعُه عامٌّ؛ ولذلك قال العلماء: إن من أسرار تفضيل العالِم على العابد أن نفع العالِم عامٌّ، ونفع العابد قاصرٌ على نفسه، فالعالِم نفعُه عامٌّ؛ يُعَلِّم، وينشر الخير، وفي ذلك أجر عظيم، وأمر عظيم، ينفع الله به الأمة، ويحيي الله عَزَّوَجَلَّ به القلوب، وينقذ الناس من الجهالة.

❁ **وإن من ثمار العلم**: استمرار الأجر في الحياة وبعد الممات، فطالبُ العلم إذا

=

الرسالة)، و«الآداب الشرعية» له (٣/ ٢٠١).

تعلَّم علمًا، وعلَّمه مسلمًا، فعمل ذلك المسلم بهذا العلم؛ كان له أجرٌ عظيم، يقول النبيُّ ﷺ: «**مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا فَلَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ شَيْءٌ**»(١)، فأنت - يا طالب العلم - إذا تعلَّمت شيئًا؛ إذا تعلمت سُنَّةً، أو فريضة، أو ذِكرًا؛ فَعَلَّمْتَهُ لمسلم، فعمل به ذلك المسلم؛ كان لك من الأجر مثل أجره، وإذا علم غيره؛ كان لك من الأجر مثل أجره. لا إله إلا الله! والله إنه لخير عظيم، وأجر عظيم، بل إن الأجر - يا طالب العلم - لا ينقطع بالموت؛ يلحقك الأجر وأنت في قبرك، يقول النبيُّ ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(٢)، وفي رواية: «**عِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ**»(٣).

فينبغي عليك - يا طالب العلم - أن تحرص علىٰ تحصيل العلم، ثم أن تحرص علىٰ نشر الخير بين الناس؛ فإن في ذلك أجرًا عظيمًا؛ تنقطع حياتُك ولا ينقطع ثوابك، يأتيك أجره في قبرك، لا إله إلا الله! إنه لأجر عظيم!.

هذا - أيُّها الإخوة - بعضُ ما أردت أن أورده في هذا المقام؛ حاثًّا نفسي وإخواني، وَمذكِّرًا نفسي وإخواني؛ لعلَّنا أن نُحَفِّزَ الهِمَمَ، لعلَّنا أن نجتهد في طلب العلم، لعلَّنا أن نكون من الذين يحملون العلم إلىٰ الأهل، لعلَّنا أن نكون من الذين ينشرون العلم بين الناس؛ فيحيي الله عَزَّوَجَلَّ بذلك قلوبًا قد ماتت.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٠). وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٩): «حسن لغيره».

(٢) رواه مسلم (١٦٣١).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٤١)، وابن حبان (٩٣) و(٤٩٠٢). وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٩٣).

أيُّها الإخوة: إن الناس اليوم في أشد الحاجة إلىٰ العلم؛ كَثُرَ الْمُتَكَلِّمُون، وَقَلَّ الْمُتَعَلِّمُونَ، وَقَلَّ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ الْعَامِلُونَ؛ فينبغي - يا طلبة العلم، يا من ألزمتم أنفسكم بتَعَلُّمِ العِلمِ الصَّحِيح - أن تعلموا أن العلم ثقيل؛ لأنه من القرآن، والقرآن قولٌ ثقيل أنزله الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ محمد ﷺ، فلا بُدَّ من الصبر، ولا يصبر للعلم إلا أفذاذُ الرجال؛ فينبغي علىٰ طلبة العلم أن يصبروا.

كثيرٌ من الناس يُعْجِبُهُ أن يحضر الحلقات التي فيها الكلام المنثور، وليس فيها علم، وليس فيها أثر، وإنما هي كلماتٌ وأقاصيص؛ رأيتُ، وسمعت، والأمور الْمُضْحِكات، وأمور نحوها، لكنهم لا يصبرون علىٰ العلم، ووالله إن الذي ينفع إنما هو العلم؛ فينبغي علينا - معاشرَ الأحبة - أن نحرص علىٰ طلب العلم، وأن نصبر أنفسنا علىٰ ذلك، وأن نأخذ بطريق السلف الصالح - رضوان الله عليهم - في ذلك، فوالله ثم واللهِ لن تنتفع الأُمَّةُ إلا بأهل العلم، وأما أهل الكلام فهم يتكلمون، وكلامُهُمْ في الهواء، كلامهم يُعْجِبُ ولا يُؤَثِّر، كلامهم يعجب ولا يُثمر عملًا صحيحًا، وإن أنتج عملًا فقد يُنْتِجُ عملًا باطلًا، فاللهَ اللهَ - يا طلبة العلم - تَعَلَّمُوا العلم، واصبروا عليه؛ لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفِّقنا لأن نكون من الداعين إليه علىٰ بصيرة.

أسألُ الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يوفِّقني وإياكم إلىٰ الإخلاص والمتابعة لرسول الله ﷺ، وأن يجعلني وإيَّاكم من طلبة العلم، الصابرين عليه، الحريصين عليه، السائرين علىٰ طريق السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ محمد، وعلىٰ آله وصحبه، وسلم.

الأَسْئِلَــةُ

س(١): فضيلة الشيخ! إني أحبك في الله! إن من أعظم ما يَشُقُّ علينا وَيُكَدِّرُ طريقنا في طلب العلم هو خشية الوقوع في الرياء وعدم الإخلاص فيه، فما هو الشيء الذي يعيننا على الإخلاص فيه - وفقكم الله -؟

وسائل آخر في نفس معنى السؤال يقول: كيف يُعْرَفُ الإخلال بالإخلاص في الإنسان في طلبه للعلم؟

❁ الحمد لله. قد أشرتُ إلىٰ شيء من هذا في أثناء الكلام، وهو أنه ينبغي علىٰ طالب العلم أن يتفقد قلبَه، وأن ينظر في قلبِه، وأن يُذَكِّرَ نَفْسَهُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وأن يقرأ في الرقائق، وأن يقرأ فيما ورد في هذا، وأن يتعلَّم. هذا من وجه.

ومن وجه آخر: أن يُكْثِرَ من الدعاء؛ أن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يَرْزُقَهُ الإخلاص، وأن يُجَنِّبَهُ الرياء، لا سيما في المواطن التي يخلو فيها؛ كأواخر الليل، وفي السجود، ونحو ذلك، يُكْثِرُ من سؤال الله عَزَّوَجَلَّ الإخلاص، وفي ذلك خير كثير.

ومن ذلك أيضًا: أن يُكْثِرَ من نوافل العبادات، لا سيما التي يتخفىٰ بها؛ فإن في الإكثار من نوافل العبادات زيادة في الإيمان؛ فإن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وإذا زاد إيمانُ الإنسان سَهُلَ عليه أن يُصْلِحَ نيَّته بذكر الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه يَقْرُبُ من ربِّه عَزَّوَجَلَّ.

كما أنه ينبغي لطالب العلم أن يُعالِجَ نفسَه، وأن يصبر علىٰ المعالجة، وأن لا يستعجل؛ فكثير من السلف يذكرون أنهم قد عالجوا أنفسهم من الرِّياء عشرين سنة أو أكثر، فما قامت لهم أنفسهم إلا بعد ذلك، فينبغي علىٰ طالب العلم أن يكون حَرِيصًا علىٰ هذا، وأن يجتهد في المعالجة. وليعلم أنه في خير، وليعلم أنه لن يسلم من الشيطان، مهما بَلَغَ حالُك لن تسلم من الشيطان؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم - كما أخبر النبيُّ ﷺ -[1].

والإمام أحمد - رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ - لما غُشِيَ عليه علىٰ فِراش الموت، كان ابنه عبد الله يُلَقِّنُهُ، وكان يقول: «لَا بَعْدُ، لا بعدُ، لا بعدُ»، فلما أفاق من غَشْيَتِهِ قال له ابنُه عبد الله: سمعتك تقول: «لا بعدُ، لا بعدُ»؟ فقال: «تمثَّل لي الشيطان، وكان يقول: فُتَّنِي يا أحمد، فُتَّني يا أحمد، فُتَّني يا أحمد؛ لم أستطع أن أفتنك، فُتِنْتَ بالقول بخلق القرآن فصبرت...»، كان يُضْرَبُ حتىٰ يحمىٰ جلدُه، ثم يُحْشَىٰ جلْدُه بالْمِلح؛ ليقول بخلق القرآن، فكان لا يقول بذلك، ثم فُتِنَ بالمال؛ فتنزَّه وأبىٰ أن يُفْتَنَ به، فكان الشيطان يقول له: «فُتَّني يا أحمد». قال: فكنت أقول له: «لا بعدُ، لا بعدُ»[2]؛ إذ لا زالت الروح في الجسد، لا زال يخشىٰ الفتنة.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٤).

(٢) الخبر رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٨٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢٦)، وابن أبي يعلىٰ في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٧٥)، وابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص١٦٠ - المكتبة الثقافية)، وفي «المنتظم» له (١١/ ٢٨٩)، وذكره الذهبي في «السير» (١١/ ٣٤١).

لا شك أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، فينبغي أن تعلم - يا طالب العلم - أنك في هذه الدنيا في صراع، في معركة، في ساحة جهاد مع الشيطان حتىٰ تَموت؛ فينبغي عليك أن تتخذ السلاح، وأن تتخذ الأساليب التي تدفع عنك الشيطان، وأن تفتش قلبك دائمًا، وأن تجتهد في تحصيل ذلك، وفي ذلك خير عظيم.

وإن مِمَّا يُعِينُ طالب العلم علىٰ الإخلاص: أن يُذَكِّرَ نفسه بعظم المَطلوب، وأن يذكِّر نفسه بِقَدْرِ الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الدنيا وما فيها لا تساوي عند الله جناح بَعُوضَة، يتأمَّل فيما ورد عن النبيِّ ﷺ أنه مَرَّ بجَدْي أَسَكَّ ميِّت، فقال: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ هَذَا بِدِرْهَمٍ؟**»، فقالوا: ليس منا أحدٌ يحب أن يكون له بشيء، فوالله لو كان حيًّا، لكان عَيْبًا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»[1]، وفي رواية: «**لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ هَذِهِ عَلَىٰ أَهْلِهَا**»[2].

فيتأمل طالبُ العلم، فينظر إلىٰ عِظَمِ ما يُحصِّله إن أخلص، وإلىٰ دناءة ما يكون فيه إن كان من أهل الرِّياء. وذلك مِمَّا يُساعِدُهُ علىٰ الإخلاص، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) رواه مسلم (٢٩٥٧).

(٢) رواه أحمد (٣٠٤٧) و(١٨٤٦٩). وأورده الألباني في «الصحيحة» (٢٤٨٢).

س(٢): هل من نصيحة من قبلكم لمن يضيع وقته في مراقبة الإنترنت، وما يُبَثُّ فيها من قيل وقال - جزاكم الله خيرًا -؟

قد أشرتُ إلىٰ هذا قبل، وأقول: إذا كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - لا ينشغلون بأمور الأكل والشرب عن طلب العلم، فكيف ينشغل طالبُ العلم بأمور لا تنفع أبدًا، وقد تَضُرُّ؟

وإن مِمَّا يدمي القلب أَنَّا نرىٰ في ساحات ينبغي أن يكون الذي فيها علمٌ عظيم؛ لأنها ساحات تفتح لطلبة العلم المعروفين بالعلم، إلا أنك تجد فيها شيئًا عجيبًا، تجد فيها أمورًا وكلامًا لا يقوله إلا أطفالُ الشوارع، وتعجب كيف يلقىٰ مثل هذا الكلام، ينبغي لطالب العلم أن يعلم أنه كلَّما تكلَّم بكلام؛ فهو مسؤول عنه بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ. إذا أردت أن تتكلَّم بكلام؛ فاجعل بين عينيك أنك اليوم مُتَكَلِّمٌ، وغدًا مسؤول بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، فهل تجد عند سؤال الله جوابًا تنجو به؟ إن كنت تجد ذلك من سنة رسول الله ﷺ؛ فأخرجه، وإن كنت لا تجد من ذلك؛ فأحجم، وإياك أن تتكلم.

كما أن طالبَ العلم لا ينبغي له أن ينشغل بفضول الكلام في الإنترنت، بل بلغنا أن بعض طلبة العلم ينشغل بمراجعة الشعراء، ومراجعة الأطبَّاء، وبالردِّ علىٰ فلان وفلان من الشعراء، الذين لا قيمة لهم، وفي هذا ضياعٌ للوقت.

وينبغي لطالب العلم أن يجعل وقته لطلب العلم، وأن يحرص علىٰ العلم،

وإذا سمع بشيء يُنْكَر؛ فينبغي عليه أن يذهب إلىٰ أهل العلم، وأن يقول للشيخ أو للعالم: يا شيخ! كتب كذا في المكان الفلاني، لو أنكم أجبتم عنه، أو رددتم عليه. أو نحو هذا؛ لكان في ذلك خير كثير.

أما أن يجعل طلبة العلم شغلهم الشاغل الإنترنت - حتىٰ بلغنا أن بعض طلبة العلم يسهر عليه إلىٰ الفجر - من غير تحصيل علم ولا فائدة؛ فلا شك أن هذا من ضياع الوقت، وينبغي أن يَتَنَزَّهَ عنه طالبُ العلم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س(٣): أنا أحد طلاب الجامعة الإسلامية، وإني سأتخرج قريبًا، وتراودني فكرة أن أقيم في هذه البلاد؛ للمواصلة في طلب العلم، فيُعارِضُ ذلك عندي نشر العلم والدعوة في البلاد، أرجو توجيهي - جزاكمُ الله خيرًا -.

لا شك أن الذين يدرسون في الجامعة الإسلامية يُحَصِّلُونَ خيرًا كثيرًا؛ لأن مناهجها قد بُنِيَتْ علىٰ تقوىٰ من الله عَزَّوَجَلَّ، وبناها العلماء الأكابر، منهم من لقي الله عَزَّوَجَلَّ، ومنهم من ينتظر، وفيها خير عظيم وعلم غزير، لِمَنْ عرف قَدْرَه، وعرف كيفيَّة تحصيله.

وطالبُ العلم إذا كان من بلد من بلدان المسلمين، وحصل هذا العلم المبارك فإني أنصحه أن يرجع إلىٰ بلاده، إذا كان متمكِّنًا من نشر العلم في بلاده؛ فإنَّا نعلم أن بلدان المسلمين تَرْزَحُ تحت نِيرٍ عظيم من الجهل، فكثيرٌ من أهلنا في بلدان المسلمين يعيشون الشرك الصُّراح، وهم يظنون أنهم في قِمَّةِ التوحيد،

كثيرٌ من أهلنا علىٰ بدع عظيمة في الدين، وهم يظنون أنهم علىٰ أحسن عبادة؛ فينبغي لِمَنْ تعلَّم العلم الشرعي الصحيح، الْمُسْتَقَىٰ من الكتاب والسنة، أن يرجع إلىٰ أهلِه؛ لِيَلْزَمَهُمْ وَيُعَلِّمَهُمْ، ويكفيك - يا طالب العلم - أنه إذا أنقذ الله عَزَّوَجَلَّ بك رجلًا واحدًا من الشرك؛ فذلك خيرٌ لك من حُمْر النَّعم[(١)].

أنت تعلِّم مَنْ في قريتك، وتعلِّم مَنْ في بلدك، تدعوهم إلىٰ التوحيد، وتبيِّن لهم ما هم واقعون فيه من شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ومن كفر، فكثيرٌ من المسلمين اليوم هم مسلمون بالاسم، اسمه اسم إسلامي، لكنَّ عمله من عمل المشركين، تجد أنه يتسمىٰ بمحمد، وبأحمد، وبعبد الله، لكنه لا يصلي، فيكون من الكفار الذين تركوا الإسلام إلىٰ الكفر، لكنه يتقرَّب إلىٰ الأولياء، لكنه يَذْبَحُ للقبور، لكنه يفعل الشركيات، فأنت إذا ذهبت إليه، بما رزقك الله عَزَّوَجَلَّ من علم، ودعوته إلىٰ التوحيد، ودعوته إلىٰ السنة، ودعوته إلىٰ الإسلام، فأسلم علىٰ يديك؛ فذلك خيرٌ لك، من الدنيا وما فيها.

وكم من طالب علم قد تخرَّج من الجامعة الإسلامية، فأسلم علىٰ يديه كُثُر، أنا شخصيًّا أعرف طالبًا تَخَرَّجَ من الجامعة الإسلامية يُسْلِمُ علىٰ يديه ما لا يَقِلُّ عن عشرة في كل أسبوع، وفي ذلك خير عظيم؛ فينبغي علىٰ طالب العلم، الذي رزقه الله عَزَّوَجَلَّ علمًا، وتخرَّج من الجامعة الإسلامية؛ أن يرجع إلىٰ قومه لينذرهم، بل قد يَتَعَيَّنُ عليه، ويكون فرض عين عليه، إذا علم من حال قومه ما يُوجِبُ عليه ذلك، والله أعلم.

---

(١) كما ثبت بذلك الحديث في البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

س(٤): السلام عليكم ورحمة الله، واللهِ إني لأُحِبُّكُمْ فِي الله، وها أنا لم أجلس عندكم إلا قليلاً، والآن ماذا أفعل، وأنا طالب علم جديد، لا أعلم شيئًا؟ فماذا أقرأ من الكتب؟ وأنا أريد أن أكون فقيهًا؛ لأدل قومي على كل خير؛ لأنهم غرقوا فِي أوهام الصوفية والجهمية وغيرها، فماذا أقرأ كتابًا كتابًا؛ لأُدَوِّنَ ذلك وأقرأه، وأستفيد وأفيد - جزاكم الله خيرًا -؟

الحمد لله. أقول للأخ - ولجميع الإخوة -: أحبكم الله الذي أحببتمونا فيه، وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا متحابِّين به، وأن يجمعنا علىٰ طاعته دائمًا.

وأمَّا سؤال السائل فَقَصْدُكَ - يا أخي - قصد عظيم، وقد طلبت أمرًا عظيمًا، وأحسنت عندما قلت: إنك تريد أن تتفقه في دين الله. فإن الفقه في دين الله هو العلم الشرعي بشتىٰ الفنون، وليس الفقهُ في دين الله عَزَّوَجَلَّ مَقْصُورًا علىٰ ما اقتصر الناس عليه اليوم بالفقه، وإنما الفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ أن تتعلم العلم الشرعي، فينبغي لطالب العلم أن يُحَدِّدَ الفن الذي يريد أن يَخُوضَ فيه، والذي يستطيع أن يُدْرِكَهُ في وقته، بعض الإخوة قد يستطيع أن يُحَصِّلَ فَنَّيْنِ، وبعضهم يستطيع أن يحصِّل ثلاثة، وبعضهم قد يحصِّل واحدًا، فكلٌّ بحسَب حاله، وحسَب طاقته.

ثم إذا حَدَّدَ الفن؛ فإنه يذهب إلىٰ طالب علم، ويسأله عن الكتب التي في هذا الفن، أيِّها الْمُخْتَصَر؟ وأيِّها الْمُتَوَسِّط؟ وأيِّها الطَّوِيل؟ ثم يسأله عن أنفع الكتب المختصرة في هذا الفن، فيبدأ به ويقرأ فيه، حتىٰ يَتَأَصَّلَ العلم في نفسه، ثم ينتقل بعد ذلك إلىٰ أفضل الكتب المتوسطة فيها، ثم ينتقل بعد ذلك إلىٰ أفضل الكتب

المطولة في هذا الباب، فَيُحَصِّلُ خيرًا كثيرًا، وعلمًا غزيرًا.

ثم إن الطلاب كثيرًا ما يسألونني عن العلم الذي يبدأون به، فنقول: الأصل أن طالب العلم يبدأ بالقرآن، ثم إذا أراد أن يَخُوضَ في فن؛ فلينظر أحوجَ ما يكونُ الناس إليه في بلده؛ فإن الناس متفاوتون، فأنت - يا طالب العلم - تعرف المَرَضَ الذي في بلدك، عندكم في بلدكم التِّيجانِيَّة، أو عندكم الْجَهْمِيَّة، أو عندكم القدرية، أو عندكم كذا وكذا، فينبغي أن تركِّز في طلب العلم علىٰ هذا، وأن تطلب غيره، لكن تركِّز في تحصيل العلم المتعلِّق بهذا؛ لأنك طبيب، وإذا رجعت إلىٰ قومك؛ فإنك ستعالج قومك بحسَب ما هم فيه.

ولا تَظُنَّنَ - يا طالب العلم - أنك إذا ذهبت إلىٰ قومك وقلت: أيها الناس! هذا الأمر بدعة. قالوا: سمعًا وطاعة!! ستواجه أقوامًا بعضُهم يَعِيش من هذا، بعضُهم يعيشون في بلد فَقير، علىٰ غنًىٰ عظيم من البدع، فأنت إن لَمْ تكن مُتَزَوِّدًا بالسلاح، العلم الذي تَرُدُّ به علىٰ هؤلاء القوم؛ فإنك سَتُغْلَبُ، وإنما الأمر عند الصَّدْمَةِ الأولىٰ، فإذا قمت بين الناس، وتكلمت بِعِلْمٍ، وبأسلوب حَسَن، وَرَدَدْتَ علىٰ من يَرُدُّ عليك بعلم وبدليل؛ فإن الناس ستقبل عليك، أما إذا قلت بدون علم؛ فتكلمت؛ فَرُدَّ عليك فَسَقَطْتَ؛ فإنه لن تقوم لك قائمة.

فينبغي لطالب العلم أن يعرف المرَض الذي في بلده، وأن يُرَكِّزَ عليه، وأن يتعلم فيه؛ لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع به، إذا رجع إلىٰ بلاده.

ومن الأمور التي أنصحُ بها طلبة العلم دائمًا، عندما أُسأَلُ عن هذا، أني أقول

للإخوة: بالنسبة للفنون؛ حبَّذا لو انتدب كُلُّ واحد إلىٰ فَنٍّ من الفنون؛ فيجعله مُرَكَّزًا عنده، يعني - مثلًا - لو كان عندنا خمسة أو عشرة في الدولة الواحدة، وَكُلُّهم علىٰ طريق صحيح في طلب العلم، فحبَّذا لو أن كل واحد منهم جعل جُهْدَهُ مركَّزًا في فن، مع طلب الفنون الأخرىٰ، لكن يجعل جهده في فن من الفنون، ثم بعد هذا يتعاونون في تحصيل الفنون، فإذا رجعوا إلىٰ بلدهم كانوا مدرسة كاملة، فهذا يُدَرِّسُ العقيدة، وذاك يدرس الحديث، وذاك يدرس المصطلح، وذاك يدرس الفقه، وذاك يدرس فنًّا آخر، وذلك يدرس غيره، ويكون في ذلك نشر للخير، ويحصل خيرٌ كثير، وهذا خيرٌ من أن يعودَ الإخوة إلىٰ البلد بفن واحد، وإن كان في ذلك خير، لكن نشر الخير أكثر يكون إذا كانت العلوم أكثر.

ومما تعلَّمناه من بعض مشايخنا: أن بعض المشايخ عندما كانت الْحِلَقُ في مسجد النبيِّ ﷺ مُخْتَلِفَةً كثيرة - وفي كُلٍّ خير -، كان كل واحد منهم يذهب إلىٰ حَلقَة، فزَيْد عند حَلقة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومحمد عند حَلقة الشيخ الأمين - رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ -، وهكذا، ثم بعد العشاء يجتمعون، فيقول هذا خُلاصَة ما حصَّله في حلقة الشيخ فلان، ويقول هذا خلاصة ما حصَّله في حلقة الشيخ فلان، ويقول هذا خلاصة ما حصله في حلقة الشيخ فلان، يقول الشيخ: فَحَصَّلْنَا فوائد:

منها: أن الواحد منَّا إذا كان في الحلقة، يُرَكِّزُ علىٰ ما يسمع؛ لأنه سَيُسْأَلُ بعد هذا، فيكون مُرَكِّزًا علىٰ ما يسمع، فينفع وينتفع.

ومنها: أنَّا حصَّلنا ثمار ما في الحلقات مُجْتَمِعة، فلو أن الإخوة فعلوا هذا - فذهب هذا الأخ إلىٰ فن، وذهب هذا الأخ إلىٰ فن، ثم يجتمعون، ويذكرون الفوائد وَيُلَخِّصُونَها - يكون في ذلك خير كثير عند الطلب، ويكون في ذلك خيرٌ كثيرٌ - أيضًا - عند تعليم الناس بالبلدان.

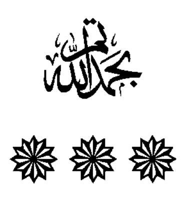
ولعلنا نقف هنا. وفَّقني الله وإخواني إلىٰ كُلِّ خير، والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه، وسلم[١].

❁ ❁ ❁

---

(١) فرغتُ - بحمدِ الله - من إعداد هذه المادَّة ليلة الجمعة ١٥/ ٦/ ١٤٢٨ هـ - ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٧م.

المحتويـات


تم بحمد الله



صدر للمؤلف



دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

الصنوبر البحري - المحمدية - الجزائر العاصمة
الجوال: 554250098 (00213)
تلفاكس: 26936739 (00213)
البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

الآجري